



قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعدة

رئيس التحرير :
نبيل أباطة

عدد فبراير ١٩٩٩ []

أسعار كتاب

اليوم في الخارج

الجمهورية العظمى	دينار	٢
المغرب	درهما	٢٠
لبنان	ليرة	٤٥٠٠
الأردن	فلس	٢٠٠٠
العراق	فلس	٧٠٠٠
الكويت	دينار	١,٥
السعودية	ريال	١٢
السودان	قرش	٣٢٠٠
تونس	دينار	٢
الجزائر	سنتا	١٧٥٠
سوريا	ل. س	١٢٥
العشيرة	سنت	٦٠٠
البحرين	دينار	١,٢٥٠
سلطنة عمان	ريال	١,٢٥٠
غزة	دولار	٢,٥٠
ج. اليمن	ريال	١٥٠
الصومال، نيجيريا	بنى	٨٠
السنتغال	فرنكا	٦٠
الإمارات	درهما	١٢
قطر	ريال	١٢
انجساقرا	جك	٢
فرنسا	فرنكات	١٠
ألمانيا	ماركات	١٠
إيطاليا	ليرة	٢٠٠٠
مولندا	فلورين	٥
باكستان	ليرة	٣٥
سويسرا	فرنكات	٤
اليونان	دراخمة	١٠٠
النمسا	شلتا	٤٠
الدنمارك	كرون	١٥
السويد	كرون	١٥
الهند	روبية	٢٥٠
كندا - أمريكا	سنت	٣٠٠
البرازيل	كروزيرو	٤٠٠
نيويورك - واشنطن	سنتا	٣٥٠
لوس انجلوس	سنت	٤٠٠
استراليا	سنت	٤٠٠

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى ٦٠ جنيها مصرية

● البريد الجوى ●

دول اتحاد البريد العربى ٢٩ دولارا
اتحاد البريد الافريقى ٣٤ دولارا
أوربا وأمريكا ٣٩ دولارا
أمريكا الجنوبية واليابان وأستراليا
٤٩ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها
● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تليكس دولى : ٣٠٣٢١٠

● تليكس محلى : ٢٨٢

● قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة

● تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

عندما وراء

بوابة الموت ؟

د. مصطفى محمود

ماذا وراء

بوابة الموت



أمانة

أهل الكهف الذين لبثوا نياما فى كهفهم ثلاثمائة سنة قالوا حينما تيقظوا من رقدتهم للسائل الذى سأل: كم لبثتم.. قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم.. والذى أماته الله مائة عام ثم بعثه قال نفس الجواب: يوما أو بعض يوم .

﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ﴾ (الروم: ٥٥)

هكذا يحكى القرآن عن المجرمين وما قدره للزمن الذى عاشوه فى الدنيا والذى لبثوه فى رقدة القبر.. إنه كان مجرد ساعة.

ويقول الله لرسوله عن الكافرين ناصحا له ومطمئنا:

﴿ ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار.. بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ (الأحقاف: ٣٥)

إنها أيضا كانت بطولها وعرضها مجرد ساعة.

ثم يقول - وهو أصدق القائلين - بشكل عام ومجمل عن خلقه حين يبعثون: ﴿ ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون بينهم ﴾ (يونس: ٤٥)

والأمر فى البداية يبدو محيرا، فالذى لبث ثلاثمائة سنة يقول: إنها بعض يوم ، والذى لبث مائة سنة يقول نفس الشيء كأنه

■ الساعة ■

لا فرق بين المائة والثلاثمائة.. والمجرم الذى عاش ثمانين عاما ثم مات يقول لحظة البعث إنها كانت ساعة والمجرم الذى عاش خمسين عاما فقط يقول لحظة البعث: إنها كانت ساعة، والمجرم الذى عاش تسعين عاما فقط يقول لحظة بعثه، ويقسم إنها كانت ساعة.. وقد استوى الذى مات شابا والذى مات شيخا فالأربعون كالتسعون كالثمانون.. استوت فى الوعى بأنها لا تزيد على ساعة.. وكذلك الثلاثمائة عام بالمائة عام.

ويقول الله - وهو أصدق القائلين - إن هذا هو الحال العام لكل البشرية لحظة بعثها.. إن آلاف السنين التى مضت وانقضت فى عصور تلو عصور وتعاقبت بين خلاقات وحروب أو أوقات سلم ورخاء يتعارفون فيها بينهم كلها كانت مجرد ساعة.. أو هكذا بدت فى وعيهم الجديد.

وتنجلي الحيرة حين نعلم أن الوعى الجديد فى الآخرة هو شعور مختلف ووعى مختلف بالامتداد والأبدية.. بينما كانت الدنيا فى حياتهم الأولى مجرد زمن ومجرد ثوان تترى لا تأبىد فيها. وأى مقدار زمنى بالنسبة للأبدية هو كم مهمل.. كما نقول فى الحساب: إن أى رقم بالنسبة للانهاية هو صفر أو أقرب ما يكون إلى الصفر.. تستوى فى ذلك العشرة والعشرون والألف والمليون كلها مقادير تافهة ومهملة بالنسبة إلى اللانهاية.. فيقول شعورنا عنها: إنها كانت مجرد ساعة تقريبا لشأنها ويصادق الله على كلامنا، فيقول هى كذلك وكأنما يقول لنا الله معاتبا:

أما كان يجب أن تصبروا على تلك الساعة بطلوها ومرها وتتعاشروا بالمعروف بدلا من أن يقتل بعضكم بعضا على ثوان تافهة من السعادة وترتكبوا كل تلك المظالم وتحملوا كل تلك

■ الساعة ■

الأوزار على زمن مخادع لا يساوى شيئاً فى عمر الأبدية التى ستغدو الآن عذاباً مؤبداً وبؤساً مقيماً لا انقضاء له.
إنها النسبية القائلة حينما تصبح قدراً، والملايين حينما تصبح صفراً، والعز حينما يتقلب ذلاً، والكبر حينما يقدو صفاراً، والغنى حينما يصير فقراً.. وإلى الأبد.. والآن يا سادة.. وقد علمتم أن الدنيا كلها كانت مجرد ساعة ، فهلا أدركتم ماذا تبقى فى حياتكم من دقائق فى تلك الساعة؟

وهلا عجلتم لتدارك أخطائكم وإصلاح شأنكم فى الثوانى الباقية من أعماركم (وما تبقى لا يزيد عن ثوان فى الحساب الحقيقى) ومن حسن الحظ إننا لا نزال جميعاً أحياء نسعى ونروح ونغدو فى تلك الأيام والشهور والسنين التى هى أشبه بالوهم.. وأنا يمكن أن نتدارك الأمر ونفיק من الغفلة.
وما نقوله للفرد منا.. نقوله للأمم.. نقوله لإسرائيل - كمثال - التى تريد أن تعلو وتهيمن وتحكم بالمكر والظلم والقوة الأمريكية والقنابل الذرية.. لمدة ثلاث دقائق، أو بالحقيقة ثوان.. نعم هى ثلاث ثوان فى المقدار الباقى من الساعة، ومن عمر التاريخ الممتد فى الوهم والخيال والذى يبدو فى أعيننا كأنه دهر.
ومن حسن الحظ أن الكارثة لم تبدأ بعد وأنه يمكن تدارك الأمر بطرح الغرور وخلع رداء الكبر والاستعلاء والسعى إلى السلام بنية صادقة.

أقول هذا الكلام وأنا أعلم أنى أتمنى على الله الأمانى.. وأن قضاء الله قد سبق، وقلم المشيئة قد كتب بشأن إسرائيل ما لا رجعة فيه، وأنها ستعلو وتفسد وتظلم، وأن الدمار نازل بها لا محالة وسوء الخاتمة لاحق بها لا مفر.

■ السامة ■

والله يقول لهم: ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾.

وهو يعلم سبحانه أنهم سوف يسيئون.. يقول: ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ﴾.

إشارة إلى ما سوف يفعله المسلمون بدخولهم المسجد وبتدميرهم كل ما رفع اليهود من بناء وكل ما عمروا من هياكل. ولأن الإسلام وقرآنه يقول هذا ويتنبأ لهم بهذا الشؤم. تحرك إسرائيل العالم وتؤلبه على الإسلام، وعلى المسلمين وتخطط من وراء الستار في كل ما يجرى لإثارة الدنيا على الإسلام وأهله. وآخر ما حدث في هذا المسلسل كانت مؤامرة الموساد لنسف مقر الأمم المتحدة في نيويورك التي كشفت التحقيقات تورط جماعات الضغط الصهيوني فيها ثم حاولت الحكومة الأمريكية التعمية على تلك التحقيقات.. وكان الأمل إلصاق التهمة بأى جهة إسلامية.. كالعادة.

ومن قبل ذلك كان اشتراك الموساد في مؤامرة تفجير كنيسة سيدة النجاة في لبنان لنفس الهدف.. لاتهام الأيدى الإسلامية.. ولإثارة الحرب الأهلية من جديد بين المسلمين والمسيحيين في لبنان.

والمسلسل مستمر لتشويه وتلطيخ الإسلام وأهله بكل خسيس ودنىء من التهم، ولم يبق من الساعة إلا بضع ثوان تريدها إسرائيل لنفسها علوا واستكبارا في الأرض وتطلب هذا العلو بأى ثمن. ولن يجدى نصحي شيئا ولن يغير من قدر الله شيئا، ولن يمحو حرفا مما كتب الله لهم.. وأتذكر كلمات نوح لقومه من الكفار: ﴿ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ﴾ (هود: ٢٤)

وقوله لهم فى مكان آخر يائسا من إصلاحهم:
﴿يا قوم أرأيت إن كنت على بيعة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾.
ذلك لأنه لا إكراه فى سنة الله على شىء ولو كان على الخير، وأن التخيير هو الأساس فى كل عمل لأنه أساس التكليف والثواب والعقاب.

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.
وقد خير الله الجمادات فعرض عليها الأمانة وأن تكون حرة مسئولة فى حركتها أو مسيرة بالقانون الإلهى:
﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾.
ففضلت أن تكون مسيرة بقدر الله.

والإنسان وهو القمة فى المخلوقات أقبل على حمل تلك الأمانة فى رعونة وجهالة، وأصبح مخيرا فيما يفعل من خير وشر.. والداخلون إلى الجحيم سوف يدخلونها بأرجلهم وبعنادهم ورفضهم.. وقد لعنت التوراة اليهود لصلفهم وعنادهم ورقابهم المتصلبة، وقال فيهم الإنجيل ما هو أكثر .

وها نحن أولاء قد رأينا المسلمين يتنازلون ويوقعون ويبدأون بالسلام.. وأول من ذهب إلى الكنيسة كان أنور السادات المسلم.. هو الذى مد يده بالسلام وهو منتصر وغالب.

ورأينا الطرف الإسرائيلى يقدم رجلا ويؤخر أخرى، وسمعنا رابين يقول: أصافح بيد واليد الأخرى على الزناد.. وسمعناهم يترنمون بأناشيد السلام، ويرجمون الجنوب اللبناى بالصواريخ

■ الساعة ■

ويحتلون المزيد من الأراضي وبينون المزيد من المستوطنات فى نفس الوقت، وأرأيناهم يطاردون العراق وكوريا الشمالية وإيران وباكستان بالاتهام بصناعة القنبلة الذرية.. وينكرون عليهم أى بحث فى إنتاج هذا السلاح، بينما هم يملكون مائتى رأس نووية جاهزة للاطلاق.. ولا يتحرك العالم للإنكار عليهم أو تفتيشهم أو مطالبتهم بحظر تلك الأسلحة المدمرة.

العالم كله يساندهم فى ظلمهم ويبرر لهم كل ما يفعلون بينما يضغط علينا للمزيد من التنازلات.

وإسرائيل تريد التطبيع فوراً وكاملاً دون أن تتنازل عن شبر من الأرض، بل على العكس تحصل كل يوم المزيد من الأرض، وتبنى المزيد من المستوطنات، وتغير بطايراتها على أراضى الغير التى لا تملكها وتدكها بالقنابل وتقتل وتحرق الأرض والزرع على مشهد من العالم، وتطالب بالتطبيع وهى شاهرة سلاحها النووى فى وجه العرب.. وما هو بتطبيع بل تركيع.

إنها التاجر الجشع الذى يريد أن يقبض الثمن ولا يقدم فى مقابله شيئاً، وهى الطاغية الذى يباشر القتل والطغيان ويرفض أن يحاسب على جرائمه.. وهى تنسى أن ملكها ودولتها لم يتبق منها إلا دقائق وربما ثوان فى الساعة الإلهية التى منحها الله للدنيا.. وعقرب الثوانى يدق ثانية بثانية ويقترب من الصفر.

ولكنها هى والعالم فى سكرة.

وهى تظن أن أمامها الدهر كله لتعلو وتحكم وتسود وما هو إلا الوهم ولا يزال كلام الله الذى قاله لموسى فى طور سيناء يرن فى أذن الأبدية:

■ الساعة ■

﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾

ولا يزال عقرب الدقائق يجرى منذ ذلك التاريخ وعقرب الثواني يسرع إلى غايته وقد أوشك العد على النهاية.
فى منتصف العمر

وقفت أمام قبر الرسول الكريم منكس الرأس حياء وقد هربت منى الكلمات:

كلى حياء منك يا رسول الله..

أحسننت بالتبليغ عن ربك وما أحسنا.. وأحسننت النصيح لأمتك وما نصحننا.. وحملت كتابك بقوة وما حملنا.. وانتصرت للحق وما انتصرنا.. واكتفى بعضنا بلحيته وقال هى سنتك.. وقصر البعض جليابه وقال هو أمرك.. واستسهلوا السهل وخانوا الأهل، واكتفوا من الدين بقشرته، ومن الجهاد بسيرته.. وقعدوا وقعدنا معهم.. وركب أكتافنا الدون والسوقة ورعاع الناس وشذاذ الأفاق وسفحوا دماءنا واستباحوا أرضنا وشتتوا شملنا.

يا نصير اليتامى وجاه الضعفاء والمنكسرين، لن أسألك الشفاعة فلا توجد فى عقيدتنا شفاعة، بمعنى «الوساطة» فى الآخرة لرفع الذنوب وإنما الشفاعة فى كتابنا تعنى «العمل» وشفيع الإنسان عمله وحده وكسبه وما صنع وما قدم.. وإنما أسأل الله بجاهك أن يختم لنا بتوبة وأن يرضى عنا، فقد وعدنا ووعدنا الحق أننا سندخل المسجد كما دخلناه أول مرة، وسندمر كل مارفعت إسرائيل من بناء، وكل ما شيدت من هياكل.. فلا توبة لنا إلا بتوبته، ولا رضا إلا برضاه.. ولا مدخل إلى طاعته إلا من بابك، ولا قربى إلا من رحابك.

■ الساعة ■

ادع لنا ألا يطول علينا الليل وألا يدركنا الويل.
والسلام عليك يا محمد وصلوات الله عليك يوم ولدت ويوم
مت ويوم تبعث حيا.
والسلام على الكرام البررة، سادة البشر وأئمة الدنيا.. السلام
على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى.. والنجوم الزواهر من صحابتك
الذين عاشوا تحت ظلال السيوف، وادع لنا نحن جنودك فى مصر
الذين قلت عنا: أننا خير أجناد الأرض، وإننا فى رباط إلى أن تقوم
الساعة.. أن نكون عند حسن ظنك.. وأن نكون مصداقا لنبوءتك
وآية لرسالتك.
والسلام عليك إلى يوم يقوم الأشهاد.

ماذا وراء

بوابة الموت



ماذا وراء

بوابة الموت

الكتب الصفراء التى تكتب عن عذاب القبر وتروى التفاصيل والمشاهد والحكايات عما يجرى داخل القبر وعن الملكين ناكرو ونكير وما يقولان للميت وما يقوله الميت دفاعا عن نفسه وألوان العذاب التى يلقاها.. هى كتب كثيرة تملأ الأرضفة ويتهافت عليها الناس وأكثر ما فى هذه الكتب تخيلات.. والقضية غيبية لا علم لأحد بها والمرجع الوحيد فيها هو كلام القرآن وشهادة عالم الغيب والشهادة عن هذه الأسرار.

وما ورد فى القرآن عن مصير المجرمين والجبارين واضح وقاطع.. فعذاب هؤلاء الجبارين لا ينتظر رقدتهم فى قبورهم ولا ينتظر انصراف آخر المعزين والمشيعين.. وإنما هو يلحق بهم فور موتهم وفور سقوط الواحد منهم فى مكتبه بالسكته أو بالشيخوخة أو هبوط الدورة الدموية.. وقبل أن تكون هناك جنازة يصطف وراءها المشيعون ويهلل الأتباع والأشياع ويملأون الصحف بمقالات التمجيد.. قبل كل هذا.. وساعة الموت.. يفتح الستار عن المفاجأة وينكشف الغيب وتتوالى الأحداث.

ماذا يقول القرآن؟!

﴿ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم.. أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون

بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴿ (الأنعام: الآية ٩٣)

.. اليوم.. إنها ساعة خروج النفس المجرمة من البدن لحظة الموت يتلقاها ملائكة العذاب بأسطى أيديهم.. بماذا؟ بالعذاب الهون.. ونقرأ فى آية أخرى تفصيلا أكثر لهذا العذاب الهون:

﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ (الأنفال: الآية ٥٠)

ويتكرر نفس المعنى فى سورة محمد الآية ٢٧

﴿ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم.. ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾

واحباط الأعمال إشارة إلى أنهم كانوا أصحاب أعمال وإنجازات وأمجاد دنيوية.

إنه الضرب على الوجوه (والوجوه هى رمز التكريم) وعلى الأدبار وتلك غاية الإهانة.

ولا توجد إشارة إلى أن الملائكة ينتظرون إعلان خبر الموت فى الجرائد أو أنهم.. يتقاطرون وراء المشيعين فى انتظار انتهاء مراسيم الدفن وانصراف الأهل والأصحاب.. وإنما الضرب يأتى فور خروج النفس من البدن وهى صورة أشبه بالاستقبال الحافل لأصحاب الملايين عند نزولهم من الطائرة.. ولكن على وجه آخر غير متوقع وغير مألوف.. فهى صهوة أشبه بالصدمة.

وهناك استقبال فوري من نوع آخر ينتظر الصالحين.. وهو يحدث فور تجاوز النفس حدود الحلقوم وخروجها من الجسد لحظة الحشجة دون انتظار لجنازة أو تشييع أو دفن.

يقول القرآن عن لحظة الحشجة هذه: ﴿فلولا إذا بلغت

الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم (أى أقرب إلى الرجل الذى يحتضر) ولكن لا تبصرون.. فلو لا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين.. فاما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم.. وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ﴿

(الواقعة: الآيات ٨٢ - ٩١)

إنه استقبال بالورد والريحان والترحاب والسلام والتحيات ﴿ وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم إن هذا لهو حق اليقين ﴿

(الواقعة: الآية ٩٢ - ٩٣)

والجحيم هنا هو المنزل المعد ساعتها لنزول المكذبين الضالين.. أما الأتقياء الطيبون فلهم مصير آخر.

﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴿ (النحل: الآية ٣٢)

فإذا جئنا إلى قوم نوح فإننا نراهم يدخلون النار فور غرقهم دون سؤال ودون حساب.. والكلام هنا عن النفوس وليس الأجساد فالأجساد هلكت غرقا أو أكلها التماسيح.

﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ﴿ (نوح: الآية ٢٥)

النار أعقبت الغرق مباشرة.. فما فعله قوم نوح برسولهم على مدى ألف سنة إلا خمسين عاما هو عمر هذا النبی قضاها في جدال يائس.. هي مسألة ليست في حاجة إلى إعادة نظر كل هذا ولم تقم الساعة بعد ولم يحدث بعث ولا حشر ولا حساب.

وما نقوله هو كلام يتعلق بعذاب يلحق بالنفوس فور الموت

وانكشاف مستورات الغيب ومعرفة كل نفس بمقامها عند ربها وما ينتظرها من مصير فالأجساد هلكت وأصبحت تراباً.

وعذاب القبور ورد مرة واحدة عن فرعون وعصايقته.. يقول ربنا في قرآنه: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (غافر: الآية ٤٦)

وعذاب القبور هنا هو عذاب نفسى برزخى.. فهو عرض مستمر على النفوس الشاخصة في قبورها ارتقاباً لمصير مشئوم وكابوس متواصل عن أهوال قادمة حينما تقوم الساعة.

أما الساعة والقيامة والبعث وعودة النفوس إلى التجسد (هذه المرة فى أجساد ملكية لا تفنى ولا تهلك) فهى مرحلة أخرى.. العذاب فيها أشد والنعيم فيها أعظم.. وهو أمر لا يحدث إلا عند نفخة الصور.

يقول القرآن:

﴿ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون.. قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون.. إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ (يس: الآيات ٥١ - ٥٣) ..

إنها الصيحة الثانية.. وكانت الصيحة الأولى هى خروج النفس من البدن لحظة الموت وماجرى فيها من مفاجآت.. أما هذه المرة فهى قيام وانتفاضة من رقدة القبر فى أعقاب صيحة هائلة.. فإذا بالنفوس قد عادت أجساداً ووقفت ترتجف فى ارتقاب يوم مهول.

﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون.. ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا

الصراط فأنى يبصرون ﴿ (يس: الآية ٦٥ - ٦٦)
إنه حساب من نوع فريد تتكلم فيه الأيدي والأرجل وتشهد
الجوارح على صاحبها بما كانت تفعل ويحاصر المذنب فلا يجد
مخرجاً..

أما الصراط فهو حدث غيبى آخر واختبار رهيب لا نعلم عنه
شيئاً، ثم يكون الحشر الأعظم واليوم المشهود الذى يُجمع له
الناس ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾
(هود: الآية ١٠٣)

حتى الوحوش يقول ربنا أنها تحشر ﴿ وإذا الوحوش
حشرت ﴾ (التكوير: الآية ٥)

والله وحده يعلم كيف.. ولماذا.. وهل عليها حساب.. أم أنه
استكمال لذروة الهيبة والجلال فى ذلك الموقف العظيم.

فالعذاب إذن عذابان والعقاب عقابان.. عذاب برزخى غيبى يبدأ
من لحظة الموت وخروج النفس من الجسد وعذاب جسدى بعد
نفخة الصور والقيامة والبعث وتجسد الأنفس من جديد فى ثوبها
الأبدى الذى لا يبلى ولا يموت.. ويكون بعد الحساب ويستمر
أبدياً.. فالداخلون النار لا يخرجون منها ﴿ وما هم بخارجين من
النار ﴾ (البقرة: الآية ١٦٧)

﴿ هذا خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم
ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما فى
بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا
منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴾

(الحج: الآيات ١٩ - ٢٠ - ٢١)

ومن الواضح أنه عذاب أشد من العذاب البرزخى للنفوس

ساعة الموت لأنه أكثر تشخصاً ولأنه محسوس جسدياً. والخوض فى أى تفاصيل غيبية عن عالم ما بعد الموت خارجاً عن نطاق القرآن هو فضول محذور فلا أحد يعلم عن هذا العالم المحجوب شيئاً.

وأكثر الأحاديث التى تتكلم فى هذه الأشياء هى إسرائيليات وأحاديث موضوعة أو ضعيفة السند.

والمتفلسفون الذين يتساءلون.. كيف يعاقب الله عبده على ذنوب محدودة فى الزمن بعقاب لا محدود فى الأبد.. ألا ينافى ذلك الرحمة الإلهية.. نقول لهم إن الذنوب مع الإصرار لا تعود ذنوباً محدودة بل تصبح ذنوباً متأصلة ملازمة لصاحبها لا ينفك عنها.

يقول القرآن عن المجرمين الذين سألوا الله أن يردهم إلى الدنيا ليعملوا صالحاً

يقول ربنا ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ (الأنعام: الآية ٢٨)

وهذا علم إلهى بهذا الطراز من النفوس.. فهم أهل النار الذين هم أهلها.. وهم الجبارون فى الدنيا الذين كانوا يقتلون الأبرياء بالجملة والذين كانوا يقدمون خصومهم للسجون والمحارق وكانوا من أهل الإصرار حتى لحظة موتهم.

يقول ربنا عن الجبارين من أصحاب الأخدود الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم أحياء: ﴿قتل أصحاب الأخدود.. النار ذات الوقود.. إذ هم عليها قعود.. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود.. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد.. الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء

شهود.. إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴿ (البروج: الآيات ٣ - ١٠) والمعنى أن رحمة الله ومغفرته كانت ستلحق بهم لو أنهم تابوا في آخر لحظة قبل موتهم.

وباب التوبة مفتوح للجميع حتى ساعة الحشرجة. ويستثنى الله من العذاب الذين تابوا وأصلحوا وبينوا أى بينوا برجعهم وبأعمالهم فيقول:

﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾ (البقرة: الآية ١٦٠)

والمعنى أن الله فتح باب رحمته ومغفرته حتى لهؤلاء الجبابرة رغم أفعالهم إلى ساعة الحشرجة.. ولكنهم لم يرجعوا ولم يستغفروا ولم يتوبوا

هؤلاء إذن هم أهل النار الذين هم أهلها.. فأى غرابة فى أن تعود النفوس النارية إلى النار.. وإبليس من الجن وهو مثلهم مخلوق من نار السموم والنار مكانه فى النهاية بحكم طبيعته.. وكل النفوس الإبليسية سوف تعود فى النهاية إلى مستقرها فى جهنم.. وليس فى هذا ما ينافي العدل بل هو منتهى العدل.. أن تنتهى كل نفس إلى مكانها.. وأن تعود النار إلى النار.

ولو تأمل الناس فى مصيرهم وفى حياتهم لأمن الكل، ولو تأملوا فى دنياهم ومباهجها الفانية ولذاتها المحدودة والموت والأمراض والمعاطب والأوجاع التى تحف بها لما غرقوا فيها ولما استسلموا لدنياها وتقاهاتها .

ولو تأملوا الموت لما تهالكوا على الحياة.

ولو ذكروا الآخرة لفروا فرارا إلى جناب ربهم.

ولكن لا أحد يتوقف ليفكر.. الكل يهرول فى عجلة ليلحق بشيء وهو لا يدري أن ما يجرى خلفه هو سراب ولا شيء وأن الدقائق والساعات والأيام تجرى.. وعمره يجرى.. وآخر المطاف مثواه التراب.. ولا أحد من الذين ذهبوا تحت التراب يعود ليحكى.. ونوافذ القبور تطل على العماء.. ولا أحد رأى شيئاً.. ولا أحد يعرف شيئاً.. وستار العماء مسدل أمام الكل.. لا يرى الواحد منا إلا لحظته.

وفرصة كل منا حياته ولا توجد أمامه فرصة أخرى.
والله أعطانا العقل والبصيرة وأرسل إلينا الأنبياء والرسل.. وحذرننا بالكوارث التى تتخطف الناس من حولنا كل لحظة.. ورأينا السلطان لا يدوم ورأينا النعيم يزول ورأينا الزهور تذبل والشمس تنكسف والأرض تتزلزل.. والموت يطارد كل حى.. ورأينا أنه لا بقاء لشيء.. وأحاطت بنا النذر من كل جانب فلم يعد هناك عذر لأحد.

لكن البلاء ثقيل والحجاب كثيف والأبصار كليلة وصدق الله العظيم فيما يقوله عن الأغلبية من المنافقين:
﴿ إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيئناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ (يس : الآيات ٨ - ١٠)
إن الله لا يريد هذه الكثرة المنافقة فهى الكثرة التى سبق عليها القول بالطرد من رحمته ولذلك جعل فى أعناقها الأغلال وأسدل على أبصارها غشاوة.
ونسأل الله اللطف

ماذا وراء

بوابة الموت



الإنسان .. مخير

أم مسير؟

التساؤل عن حرية الإنسان تساؤل لا ينتهى .
ومازلت أجد من يستوقفنى فى الطريق
ويسألنى.. هل الإنسان مخير أم مسير ؟
والذين يقرأون أكثر تساؤلًا من الذين
لا يقرأون .

والقضية أزلية ولا ينتهى الكلام فيها ولا ينتهى الفضول إلى
كشف أسرارها لأنها مرتبطة بحقيقة الإنسان ولغز القدر .
وعمدة الحكم فى نظرى هو مايشعر به الإنسان فى أعماقه .
فتلك الشهادة التى تاتى من الأعماق هى برهان لا يعدله برهان
وحجة لاتقف أمامها حجة .

والإنسان يشعر بالفعل فى أعماقه أنه يختار فى كل لحظة بين
عدة بدائل وأنه ينتقى ويرجح ويفاضل ويوازن ويتخير .. وهو
يحاسب نفسه ويحاسب الآخرين .. ويفرح إذا أصاب ويندم إذا
أخطأ .. وكلها شواهد على أننا نتصرف انطلاقًا من بدهة مؤكدة
بأننا أحرار مسئولون .

ونحن نرى يد السجان تمتد إلى سجينه فيضطهده فى لقمته
ويضربه ويعذبه ويعلقه من قدميه ويقهره على ما لم يرتكب ولكن
هل نراه يستطيع مهما استخدم من وسائل الإرهاب أن يجعل هذا
السجين يحبه من قلبه قهرا ؟
لا ..

■ الإنسان .. مخير أم مسير ؟ ■

هنا تقف كل وسائل الإكراه عاجزة وسوف يظل هذا السجين حتى الموت حرا فيما يحب ويكره .. حرا فيما ينوى ويضمر .. لا يستطيع أحد أن يقتحم عليه غرفة ضميره .
حتى الشيطان لا يستطيع أن يدخل قلبك إلا إذا فتحت له الباب وصادف إغراؤه هوى قلبك ولكنه لن يستطيع أن يملكك على ما تكره مهما بلغت وسائله .
وذلك شاهد آخر على أن الله أعتق القلب ، واعتق الضمير من كل وسائل الضغط والإكراه .
الاختيار إذن حقيقة .. وحرية القلب حقيقة .. وحرية النية حقيقة .

والسؤال هو عن مدى هذا الاختيار وحدوده ؟
وكيف نزداد حرية ؟
ومن هو أكثرنا حرية ؟
ثم كيف تكون هناك حرية مع مشيئة الرب ، وكيف تتفق هذه الثنائية مع عقيدتنا في التوحيد ؟
تلك هي علامات الاستفهام .



وبرغم قهر الظروف وكثرة الضوابط والموانع التي تحد حرية الإنسان هنا وهناك . فإن الإنسان تبقى له مساحة يتحرك فيها ويختار .. وتتسع هذه المساحة كلما اتسع علمه .
وقد أجاب الغزالي عن هذا التساؤل الأزلي بكلمات فقال :
« إن الإنسان مخير فيما يعلم ، مسير فيما لا يعلم .. أى أنه يزداد حرية كلما ازداد علما » .
وقد رأينا مصداق هذا الكلام في حياتنا العصرية ، وشاهدنا

■ الإنسان .. مخير أم مسير ؟ ■

الإنسان الذى تزود بعلوم البخار والكهرباء ، والذرة يتجول فى الفضاء بالطائرات ، والأقمار ويهزم الحر والبرد ويسخر قوانين البيئة ورأينا مساحة حريته تزداد ومجال تأثيره يتضاعف .
وقرأنا فى القرآن عن الذى عنده علم من الكتاب ، وكيف نقل عرش بلقيس فى طرف عين .

وقرأنا كيف عرج محمد عليه الصلاة والسلام بمدد من الله الى السموات ، وكيف جاوز سدره المنتهى وبلغ مقام قاب قوسين أو أدنى من ربه وذلك هو مجال الحرية الذى يزداد كلما ازداد علم صاحبه والذى يبلغ أعلى المقامات بالعلم الربانى اللدنى ، وبالممد الإلهى الإحسانى .
فالحرية حقيقة .
والاختيار حقيقة .

والناس متفاوتون فى هذه الحرية بتفاوت علمهم ، وتفاوت مقاماتهم قربا وبعدا من الله ، لأن هذه الحرية لا تأتى إلا بالله ومن الله .

فالعلم منه والسلطان منه ، والنفخة التى نقلتنا من جمادية الطين إلى إنسانية الإنسان هى نفخته الربانية ، والتطلع إلى الحرية فطرة ضمن الفطر التى فطرها الله فينا .

وكل إنسان مفطور على اختيار الأحسن من وجهة نظره . فأما الواحد من عوام الناس فيختار نفسه ومصالحته ، وشهوته لأنه يرى بنظره القريب أن نفسه هى الأحسن بين جميع الاختيارات .
وأما العارف بالله فهو لا يختار إلا الله لأنه يرى بنظره البعيد أن الله هو الأحسن بين جميع الاختيارات ، وهو باختياره لربه يخرج عن نفسه وعن اختياراتها ، ويسلم إرادته لاختيارات الله له وذلك هو منهج الطاعة .

وهو بخروجه من نفسه يخرج من المخالفة إلى الموافقة ، ومن الثنائية إلى التوحيد ، ومن المعاندة إلى الانسياب مع الله فى كافة أحواله وتقلباته .

فإذا وقع فى المعصية فإنه لا يصح له أن يقول إن الله قدرها عليه : لأن الله لا يختار لنا إلا شريعته ، ولا يحب لنا إلا طاعته ، وهو العارف صاحب الدعوى الذى ادعى أنه خرج من إرادته إلى إرادة ربه .. فهو إن عصى فإن معصيته تشهد على كذب دعواه وأنه مازال عند نفسه لم يبرح .

بل إن العارف الحق بخروجه من نفسه يخرج من منطقة الاختيار كلها ويدخل منطقة الإسلام .. الإسلام لله وللمشيئة الإلهية .. فهو يجتهد فى عمله لأن الله أحب له الاجتهاد ولكنه لا يحزن لخسارة ولا يفرح لنجاح ولا يأسى على فشل ، لأنه قوض النتائج إلى الله وارتضى أحكامه بلا جدل

وبخروجه من منطقة الاختيار يخرج أيضا من منطقة المساءلة وترفع عنه المحاسبة فيكون ممن يوفى لهم أجرهم بغير حساب وتلك هى سنة الفرقة الناجية .. خروج من اختيار النفس إلى اختيار الرب .. وتبرؤ من الحول والطول .. وإسقاط للتدبير .

يقول الصوفى النفرى إلهاما عن ربه :

« يا عبدى ألق الاختيار ، ألق المساءلة البتة » .

فأهل التفويض والتوكل هم أهل الجنة بالتزكية ، لأنهم أسقطوا اختيارهم وعاشوا وفق الإرادة الإلهية .

أما أهل الاختيار فهم واقفون عند نفوسهم يتخيرون بين حظوظهم ، وقد وكلوا أمرهم إلى عقولهم التى تخطئ وتصيب ..

فوضعوا أنفسهم مع أهل المساءلة فمن يختار يسأل .
ومن أسقط الاختيار وأسقط التدبير لا يعود هناك مجال
لمساءلته ، فمثله لا تقع في حقه معصية ، لأنه أسقط مشيئته
ضمن ما أسقط من اختيارات .

وشاهد إسقاط التدبير في حق العارف هو كماله ، فلا يكون
مع الله إلا الكَمَل .. ولا يصح الادعاء بأنك مع الله وشواهد أعمالك
تدل على أنك مع هواك وشهواتك ، فتلك تكون حجة الله عليك بأنك
كذاب .

ولهذا لا يترك الله المؤمنين العارفين الذين يدعون أنهم من أهله
وخاصته ، دون أن يبتليهم ويفتنهم فتلك دعوى عريضة لا يصح
أن تفوت دون امتحان .

﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ،
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين ﴾ (العنكبوت : ٢ ، ٣)

والعجيب أن الملحدين وأهل الفكر المادى يقولون بالجبر
والحتمية ، ثم نرى جميع تصرفاتهم أبعد ما تكون عن هذا الاعتقاد
وكان المفروض لو كانوا صادقين في دعواهم بعدم جدوى
الحرية الفردية ، أن يسلموا هذه الحرية لربهم المزعوم (المادية
الجدلية) ولكن ما يحدث دائما هو العكس ، فنرى تاريخهم تاريخا
دمويا لجبايرة الحكم الفردى .. ستالين .. لينين .. منجستو .. وما
منهم إلا مُدَّع يتصور أنه يصنع التاريخ .. وينسى الواحد منهم
أنه قال منذ لحظات أن المادية التاريخية هي التى صنعت له وعيه
وعقله وموقفه .

فإذا كانت المادية التاريخية هي التى أفرزت الفن والفكر

■ الإنسان .. مخيرام مسير ؟ ■

والدين والوعى فكيف بك يا صاحبي تعود فتدعى لنفسك أنك تصنع التاريخ وأنت أحد مصنوعات هذا التاريخ إلا أن تكون قد عدت فناقضت نفسك ، وتصورت لإرادتك علوا على التاريخ المادى بما يشفع لها أن تعود فتصنع التاريخ من جديد . وإذا كان للإرادة الإنسانية علو على التاريخ فذلك هو سبق الفكر على المادة الذى تنكرونه فى (أ - ب) فلسفاتكم .
فها أنتم قد تصورتم أنكم وضعتم الهرم على قاعدته ، ثم عدتم فقلبتموه على سنامه .

وهؤلاء هم أهل الضلال البعيد .

أما الوجوديون والعبيثيون من أهل الحياة مع الهوى واللحظة فهؤلاء يقولون إنهم اختاروا نفوسهم ، فالحياة الحققة عندهم هى أن تكون نفسك .. لاتعبأ بعرف أو تقليد أو دين أو أخلاق ، وإنما تعيش لحظتك كما تحب وتهوى ، فأنت لاتملك غير لحظتك واللحظة التى تمضى لاتعود . والحق أن كلا منهم قد اختار حيوانه ، وأطاع غريزته وأسلم لنزوته واستلهم فكرته .. فهو الآخر عبد وإن تصور أنه حر .. عبد لآلهة كثيرة تتجاذبه وتتقاسمه .. ثم أنه هو وآلهته عبيد لله دون أن يدري .. فالكل منه وإليه .

﴿ قل كل من عند الله ﴾

والكون بنواميسه وما فيه من جمال وفن وفكر ، وحب وقوانين مادية جدلية ونظريات عبثية ووجودية وأفكار فوضوية .. هو كون مخلوق لله .. وهو مظهر من مظاهر التجلى الإلهى والمشیئة الإلهية .. فلا شىء فى الكون يخرج عن مشیئة الله ، وأن خرجت بعض الأشياء عن رضاه .

والكل مسلم لله طوعاً أو كرهاً .
وإنما كل الفارق هو فارق بين عارف وجاهل .
فالعارف أدرك الحقيقة فأسلم باختياره وخرج عن نفسه طوعاً
وحباً وكرامة وانضوى تحت المشيئة بكليته راضياً سعيداً .
والجاهل تصور أنه ليس عبداً لأحد .. وأنه لا مشيئة لأحد عليه
وأنه اختار نفسه (وهو ما اختار لإحيوانه) .
والحق أنه هو الآخر عبد خاضع دون أن يدري .. وإنما هو
خاضع بالكرباج ، منساق بالعصا يتصور أنه يسير إلى الأمام ،
وهو يدور فى ساقية وعلى عينيه عصاة كالثور يكبح لبطنه
وشهواته .

وقد أخرجه جهله وعناده من القرب إلى البعد .
فلاهل البعد النار ولأهل القرب الجنة .
وإنما تكون الجنة مكافأة لعارف عرف .
ولا حرية إلا لعارف .
ولا حرية إلا بالله ومن الله .
ولا تأتي الحرية إلا خلعة من الله .
إنما تأتي حرية العارف من أنه اختار ربه فخلع الله عليه حرите
وصفاته ، فأصبح العبد الربانى الذى يرى ببصر الله ويسمع .
بسمع الله ويحيا بحياته : وتلك هى الحرية القصوى التى يحرك
بها العارف الجبال ، والتى أسرى بها محمد عليه الصلاة والسلام
إلى المسجد الأقصى وعرج إلى السماوات وجاوز المنتهى ..
والتي أحيا بها عيسى الميت .

أما التحرر بمعنى التمرد على الشرائع ، وعصيان الأمر الإلهي
واستباحة الأعراف الخلقية فهو مثل السباحة ضد التيار ، نهايتها
الإنهاك والتعب ثم الغرق .

وكيف يكون الإضراب عن الطعام والشراب والتنفس حرية ، وهل تكون إلا حرية الموت أو حرية القضاء علي الحرية . وكيف يكون اتباع الشهوات حرية ، والشهوات ذاتها عبودية وقيد ؟ وكيف تزداد حرية بدخولك في جاكته جبس وخضوعك لحيوانك؟ إنما التطور لا يكون إلا خروجاً من النفس وضروراتها واستعلاء علي هواها وشهواتها .

والعارف الذي خرج من نفسه واختار ربه هو بالمعني العميق قد اختار حقيقته ، فهو ما خرج إلا عن نفسه الحيوانية الأمارّة وتلك نفس دونية طينية حكمها حكم الجسد .

أما حقيقة كل إنسان فهي نفسه العلوية الملكوتية التي هي علي مثال النفخة الربانية التي أودعها الله في الجسم .

وهي المثال الذي خلقه الله في أحسن تقويم في المبدأ الأول . والعارف باختياره لربه قد اختار نفسه الحقيقية « النفس المثال التي خلقها الله في أحسن تقويم » .

﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ (التين : الآيتان ٤ - ٥)

ولقد ردنا الله إلى أسفل سافلين حينمات أودع هذه النفس العلية في الحشوة الطينية ، وابتلاها بالشهوات والحيوانية وتلك هي حياتنا الدون التي نحيّاها ، ولكن العارف بخروجه من هذه النفس الحيوانية يسترد شفافيته الأولى ، ويعيش نفسه الحقيقية ويكتشف نسبه الروحاني باعتباره نفخة من الله ، وهو بهذا يختار أصله وحقيقته ، يختار ربه .

إنه إذن أعلى درجات الاختيار وإن كان في الظاهر خروجاً من الاختيار وإسقاطاً للتدبير .

وحرية العبد بهذه الصورة لا تتنافى مع التوحيد فما أخذ العبد حريته إلا من الله ، وما جاءت حريته فى أن يشاء إلا بمشيئة إلهية ودستور إلهى .. فقد أرادنا الله أحرارا .. ولم نغتصب نحن هذه الحرية من الله اختلاساً .

﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ (الإنسان : الآية ٣٠)
ثم إن الله حينما قضى علينا قضاءه المسجل فى كتابه ، فإنما قضى على كل إنسان قضاء من جنس قلبه ، ومن جنس ضميره ، ومن جنس نيته .. من أراد حرث الدنيا مهد له فيها ، ومن أراد حرث الآخرة هداه إليها .

﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ﴾ (الشورى : الآية ٢٠)
﴿ إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ﴾ (الأنفال : الآية ٧٠)

﴿ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ (الليل: الآيات ٥ - ١٠)

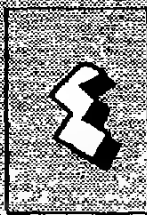
﴿ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ﴾ (البقرة : الآية ١٠)
﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ (محمد : الآية ١٧)
تأتى التيسيرات دائماً من جنس النية .. فلا ثنائية ولا تضاد بين اختيار الرب واختيار العبد .. وإنما الإرادتان تلتقيان فى خط واحد وإرادة واحدة .. الله يسيرك إلى عين اختيارك ويختار لك من جنس نيتك لا تناقض ولا ضدية .

ومراد الله بهذا أن يُخرج المكتوم فى القلب .
﴿ والله مُخرج ما كنتم تكتمون ﴾ (البقرة : الآية ٧٢)

ليتم الغرض من الدنيا كدار ابتلاء وامتحان .
ويظل الله هو الحاكم الأحد بلا شبهة شريك .. فلا حرية إلا به ،
ولا تيسير ولا تمكين إلا بإذنه .
أما خارجاً عن الله .. فلا حرية ولا حياة ولا قدرة .
فما سوى الله تار ..
وما سوى الله ظلمة ..
وما سوى الله قيد ..
وسبحان الذى أسرى بعبده ..
فلا سريان لنا إلا على جناحه .. ولا نفاذ من أقطار السماوات
والأرض إلا بسلطانه ..
ولا حرية إلا به .
ولا نور إلا بنوره ..
وهذا الاعتراف هو عين الإسلام ..
وهو عين شهادة أن لا إله إلا الله .. أى لا حاكمية ولا سلطان
إلا له .. تقدست أعتابه عن الند والخذ ، والصاحبة والولد
والشريك والشبيه .

ماذا وراء

بوابة الموت



نقطة -
المحيط

فى ساعات الصفاء حينما تنقشع الغواشى عن القلب وتنجلي البصيرة ، وأرى كل شىء أمامى بوضوح ، تبدو لى الدنيا بحجمها الحقيقى وبقيمنتها الحقيقية فإذا هى مجرد رسم كروكى أو ديكور مؤقت من ورق الكرتون أو بروفة توزع فيها الأدوار لاختيار قدرات الممثلين ، أو مجرد ضرب مثال لتقريب معنى بعيد ومجرد وهى فى جميع الأحوال مجرد عبور ومزار ومنظر من شباك فى قطار .

وهى الغربة وليست الوطن .

وهى السفر وليست المقر .

أعجب تماما وأدهش من ناس يجمعون ويكنزون ويبنون ويرفعون البناء وينفقون على أبهة السكن ورفاهية المقام وكأنما هو مقام أبدى وأقول لنفسى أنسوا أنهم فى مرور ؟ ألم يذكر أحدهم أنه حمل نعش أبيه وغدا يحمل ابنه نعشه إلى حفرة يستوى فيها الكل ؟ وهل يحتاج المسافر لأكثر من سرير سفرى وهل يحتاج الجوال لأكثر من خيمة متنقلة ؟

ولم هذه الأبهة الفارغة ؟ ولمن ؟ ولمن الترف ونحن عنه راحلون ؟ هل نحن أغبياء إلى هذه الدرجة ؟ أم هى غواشى الغرور والغفلة والطمع وعمى الشهوات وسعار الرغبات وسباق الأوهام ؟ وكل ما نفوز به فى هذه الدنيا وهم ، وكل ما نمسك به ينفلت مع الريح .

والذين يتقاتلون ليسبق الواحد منهم الآخر أكثر عمى فالشارع سد عند نهايته وكل العربيات تتحطم ويستوى فيها السابق باللاحق ، ولا يكسب أحد منهم إلا وزر قتل أخيه . بل إن أكثر الناس أحمالا وأوزارا فى هذه الدنيا هم الأكثر كنوزا والأكثر ثراء فكم ظلموا أنفسهم ليجمعوا وكم ظلموا غيرهم ليرتفعوا على أكتافهم .

ولعلنا سمعنا مثل هذا الكلام ونحن نلهث متسابقين على الطريق فهو كلام قديم قدم التاريخ رددته جميع الأسفار وقاله جميع الحكماء ولكننا لم نلق له بالا ولم يتجاوز شحمة الأذن . ومازلنا نسمع ولا نسمع برغم تطور أدوات الاستماع وكثرة الميكروفونات ومكبرات الصوت ، ولقطات الهمس الالكترونية من فوق الفضاء ومن تحت الثرى .

ومازلنا نزداد صمما عن إدراك هذه الحقيقة البسيطة الواضحة وكأنها طلسم مطلسم ولغز عصى على الأفهام .
هل نحن مخدرون ؟

أم هناك ما هو أقوى أثرا وأكثر شراسة من الخمر والمخدرات ، هى مادية العصر التى طبعت الناس بذلك الشعار المسكر ؟ شعار غامر واكسب وانهب واهرب وسارع إلى اللذة قبل أن تقوت وعش لحظتك بملئها طولا وعرضا ولا تفكر ماذا بعد فقد لا يكون هناك بعد .

نعم تلك هى الخدعة التى يستدرج إليها الكل أنه لا شىء بعد وهى ليست خدعة بل هى روح الفلسفة المادية ويقينها أنه لا شىء سوى ما نرى ونسمع ونذوق ونلمس من ماديات ، وأنه ليس وراء هذه الدنيا شىء ونفوسنا الأمارة استراحت إلى هذه

الفلسفة لأنها تشبع لها رغائبها وتحقق لها مشتبهاتها ، والحيوان في داخلنا اختارها لأنها تشبع غرائزه .

ألم يدع الصوفي الكامل أبو الحسن الشاذلي ربه متوسلا أن يأخذه من هذه النفس فقال : « رب خذني إليك مني وارزقني الفناء عني ، ولا تجعلني مفتونا بنفسي محجوبا بحسي ، وتلك النفس هي الفتنة والحجاب وهي التي أفرزت هذه الحضارة المادية وروجتها.

ألم يسأل داود ربه : « يارب كيف أصل إليك . فقال له ربه أترك نفسك وتعال » . أن يترك هذه النفس لأنها العقبة : ﴿ فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة ﴾

(البلد : الآيات ١١ - ١٣)

لا انفكك من هذه العقبة إلا بالانفكاك من طمعك . فتفك الرقبة وتطعم المسكين وتؤثر غيرك على نفسك ، ولذلك لم يطلب الإسلام من المسلم نبذ الدنيا وإنما طلب منه قمع النفس وكبحها وشكمها لأن النفس هي الأصل والدنيا مجرد أداة لتلك النفس لتختال وتزهو وتتلذذ وتستمتع .

إن النفس هي الموضوع وهي ميدان المعركة ومحل الابتلاء والدنيا ورقة امتحانها ومطلوب الدين هو الارتقاء بهذه النفس والارتقاء بها من شهوات البطن والفرج ومن شهوات الجمع والاكتناز ، ومن حمى الاستعراض والكبر والتفاخر ليكون لها معشوق أرقى هو القيم والكمالات ، ومعبود واحد هو جامع هذه الكمالات كلها .

وإنما تدور المعركة في داخل النفس وفي شارع الدنيا حيث يتفاضل الناس بمواقفهم من الغوايات والمخريات وما تعرض

عليهم شياطينهم من خواطر السوء ومن فرص اللذة كل لحظة .
ولم يطلب الإسلام من المسلم أن ينبذ الدنيا ، بل طلب منه أن
يخوضها مسلحاً بهذه المعرفة فالدنيا هي مزرعته وهي مجلة
أفعاله وصحيفة أعماله .

وقدم له فلسفة أخرى في مواجهة الفلسفة المادية قدم له
فلسفة استمرار وبقاء فهو لن يموت ويمضي إلى عدم بل إلى
حياة أخرى سوف تتعدد فصولاً وتمضي به كدحا وجهادا حتى
يلقى ربه : ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا
فملاقية ﴾ (الانشقاق : الآية ٦) .

الحضارة المادية لم تقدم للإنسان إلا الموت وحياة تمضي
سدى وتنتهى عبثاً أما الإسلام فقدم للإنسان الخلود وحياة
تمضي لحكمة وتنتقل من طور إلى طور وفقاً لنواميس ثابتة من
العدل الإلهي حيث لا يذهب أى عمل سدى ولو كان مثقال ذرة من
خير أو شر .. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال
ذرة شراً يره .

واليوم تصل الحضارة المادية إلى ذروة من القوة والعلم
وتكتمل لها أدوات الفعل والتأثير من إذاعة وتليفزيون وسينما
ومسرح وكتب ومجلات وهي سواء كانت أمريكية أو سوفيتية
فهى لا تقتل تغتال العقل والروح وتتحالف على الإنسان بخيلها
ورجلها ولكنها برغم كل شيء ضعيفة متهاففة واهية لأنها تغتال
نفسها ضمن ما تغتال وتآكل كيانها ، وسوف تقتل مع بعضها
البعض وتتحارب بالمخالب والنباب وبالقنابل الذرية والقذائف
النووية فالطمع والجشع حياتها وموتها .

وعلى رقعة صغيرة من الأرض يقف الإسلام كمنارة فى بحر

لجى مظلم متلاطم الموج يعجج بالبوارج والغواصات وحاملات الصواريخ وحاملات الرؤوس النووية .

وما أكثر المسلمين ممن هم فى البطاقة مسلمون ولكنهم فى الحقيقة ماديون اغتالتهم الحضارة المادية بأفكارها وسكنتهم حتى الأحشاء والنخاع فهم يقتل بعضهم البعض ويعيشون لليوم واللحظة ويجمعون ويكنزون ويتفاخرون ولا يرون من الغد أبعد من لذة ساعة ، ويتكلمون بلغة سوفيتية أو لغة أمريكية ولا يعرفون لهم هوية .

وقد نجد من يصلى منهم إلى القبلة خمس مرات فى اليوم ولكن حقيقة قبلته هى فاترينة البضائع الاستهلاكية .

ولا يبقى بعد ذلك إلا قليل أو أقل القليل ممن عرف ربه . ولو بقى مؤمن واحد مرابط على الحق فى الستة آلاف مليون فهو وحده أمة ترجحهم جميعا عند الله يوم تنكشف الحقائق وينهدم مسرح العرائس ويتمزق ديكور الخيش والخرق الملونة وتنهار علب الكرتون التى ظنناها ناطحات سحاب وتنتهى الدنيا .

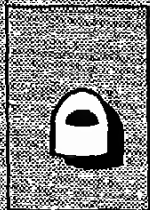
وحينئذ وعندما تهتك الأستار وتقام الموازين سوف نعرف ما الدنيا وماذا تساوى وماذا يساوى كل الزمن حينما نضع أقدامنا فى الأبد .

وحينئذ سوف نتذكر الدنيا كما نتذكر رسما كروكيا أو مسرح خيال الظل أو نموذج مثال مصنوع من الصلصال لتقريب معنى بعيد بعيد ومجرد .

وسوف نعلم أنها ما كانت سوى النقطة التى فيها كل أملاح البحر المحيط ولكنها لم تكن أبدا البحر المحيط .

ماذا وراء

بوابة الموت



سنة ١٩٩٥

من أنت .. حينما تتردد لحظة بين الخير والشر ..
من تكون ؟..!

أتكون الإنسان الخير أم ، الشرير أم ما بينهما..؟!
أم تكون مجرد احتمال للفعل الذى لم يحدث
بعد..؟! ■

إن النفس لا تظهر منزلتها ولا تبدو حقيقتها إلا لحظة أن
تستقر على اختيار ، وتمضى فيه باقتناع وعمد وإصرار ،
وتتحدى فيه وتخلد إليه وتستريح وتجد ذاتها .
ولهذا لا تؤخذ على الإنسان أفعال الطفولة ، أو أفعال المراهقة
ولا ما يفعله الإنسان عن مرض أو عن جنون أو عن إكراه .. وإنما
تبدأ النفس تكون محل محاسبة منذ رشدها ، لأن بلوغ الرشd يبدأ
معه ظهور المرتكزات والمحاور التى ستنمو عليها الشخصية
الثابتة .

واختيارات الإنسان فى خواتيم حياته هى أكثر ما يدل عليه ،
لأنه مع بلوغ الإنسان مرحلة الخواتيم يكون قد تم ترشح وتبلور
جميع عناصر شخصيته ، وتكون قد انتهت ذبذبتها إلى استقرار
وتكون بوصلة الإرادة قد أشارت إلى الطابع السائد لهذه
الشخصية .

ولهذا يقول الصوفيون : «العبرة بالخواتيم» .. وما يموت عليه
العبد من أحوال ، وأعمال وما يشغله فى أيامه الأخيرة هو

■ من أنت ؟ ■

ما سوف يبعث عليه .. تماما كما ينام النائم فيحلم بما استقر فى باله من شواغل لحظة أن رقد لينام .

ولهذا أيضا لا تؤخذ النفس بما فعلته وتدمت عليه ورجعت ، ولا تؤخذ بما تورطت فيه ثم أنكرته واستنكرته ، فإن الرجوع عن الفعل ينفى عن الفعل أصالته وجوهريته ويدرجه مع العوارض العارضة التى لاثبات لها .

وقد أعطى الله الإنسان مساحة كبيرة هائلة من المنازل والمراتب .. يختار منها علوا وسفلا ما يشاء .. أعطاه معراجا عجيبا يتحرك فيه صاعدا هابطا بلا حدود .. ففى الطرف الصاعد من هذا المعراج تطف وتترق الطبائع ، وتصفو المشارب والأخلاق حتى تضاهى الأخلاق الإلهية فى طرفها الأعلى (وذلك هو الجانب الروحى من تكوينه) وفى الطرف الهابط تكثف وتغلظ الرغبات والشهوات ، وتتدنى الغرائز حتى تضاهى الحيوان فى بهيميته ، ثم الجماد (فى جموده وآليته وقصوره الذاتى) .. ثم الشيطان (فى ظلمته وسلبيته) وذلك هو الجانب الجسدى الطينى من التكوين الإنسانى .

وبين معراج الروح صعودا ومنازل الجسد والطين هبوطا ، تتذبذب النفس منذ ولادتها ، فتتسامى هنا وتتردى هناك بين أفعال السمو وأفعال الانحطاط ، ثم تستقر على شاكلتها وحقيقتها .

﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ (الإسراء : الآية ٨٤)

ومتى يبلغ الإنسان هذه المشاكلة والمضاهاة بين حقيقته وفعله فإنه يستقر ويتمادى ، ويمضى فى اقتناع وإصرار على خيره أو شره حتى يبلغ نهاية أجله .

■ من أنت؟ ■

ومعنى هذا أن النفس الإنسانية أو « الأنا » .. هى شىء غير الجسد .. وهى ليست شيئا معلوما بل هى سر وحقيقة مكنونة لا يجلوها إلا الابتلاء والاختبار بالمغريات .

وما الجسد والروح إلا الكون الفسيح الذى تتحرك فيه تلك النفس علوا ، وهبوطا بحثا عن المنزلة التى تشاكلها وتضاهيها والبرج الذى يناسب سكنها فتسكنه .. فمنا من يسكن برج النار (الشهوات) وهو ما زال فى الدنيا ، فلا يبرح هذا البرج حتى الممات ، فتلك هى النفس التى تشاكل النار فى سرها وهى التى سبق عليها القول والعلم بأنها من أهل النار .

وذلك علم سابق عن النفوس لا يتاح إلا لله وحده ، لأنه وحده الذى يعلم السر وأخفى ، فهو بحكم علمه التام المحيط يعلم أن هذه الحقيقة المكنونة فى الغيب التى اسمها فلان ، والتى مازالت سرا مستترا لم يكشفه الابتلاء والاختبار بعد ، والتى لم تولد بعد ولم تنزل فى الأرحام .. يعلم ربنا تبارك وتعالى بعلمه المحكم المحيط أن تلك النفس لن تقر ولن تستريح ولن تختار إلا كل ما هو نارى شهوانى سلبى عدمى .. يعلم عنها ذلك وهى مازالت حقيقة مكنونة لا حيلة لها فى العدم .

وهذا العلم الربانى ليس علم إلزام ولا علم قهر ، بل هو علم حصر وإحاطة ، فالله بهذا العلم لا يجبر نفسا على شر ، ولا ينهى نفسا عن خير ، فهو يعلم حقائق هذه الأنفس على ما هى عليه دون تدخل .

فإذا جاء ميقات الخلق (وجميع الأنفس تطلب من الله أن يخلقها ويرحمها بإيجادها وهى مازالت حقائق سالبة فى عالم الإمكان فى العدم) أعطى الله تلك النفس اليد ، والقدم واللسان

لتضر وتنفع وأعطاهما ذلك الكون الفسيح الذى اسمه الروح والجسد لتمرح فيه صاعدة هابطة تختار من منازلها ما يشاكلها لتسكن فيه .. فإذا سكنت واستقرت ، وتسجلت أعمالها قبضها الله إليه إلى يوم البعث والحساب المعلوم .. حيث تقرأ كل نفس كتابها.. وتعلم منزلتها فلا يعود لأحد العذر فى أن يحتج بعد ذلك حينما يضعه الله فى مستقر الجنة أو مستقر النار الأبدية .

وقد أعذر الله وأنذر الجميع ، من قبل ذلك بالرسل والكتب والآيات وأقام عليهم الحجة بما وهب لهم من عقل وضمير وبصيرة، وحواس تميز الضار من النافع والخبيث من الطيب . ولهذا حينما تطالب النفوس المجرمة فى النار أن تعطى فرصة أخرى ، وأن ترد إلى الدنيا لتعمل الصالحات ، وحينما يدعى البعض أن تعذيب تلك النفوس أبديا على ذنوب مؤقتة ارتكبتها فى الزمن المحدود هو أمر ظالم .

حينئذ يجيب ربنا متحدثا عن هؤلاء المجرمين قائلا :

﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾

(الأنعام : الآية ٢٨)

وفى هذا الرد البليغ إشارة إلى أن إجرام تلك الأنفس لم يكن ذنبا موقوتا فى الزمن .. بل إنهم ليعاودون هذا الجرم فى كل زمن ومهما عاود الله خلقهم .. لأن ذلك الإجرام حقيقة مكنونة ، وليس عرضا محدودا بالزمان والمكان .. ولهذا كان عقابه الأبد ، وليس العذاب الموقوت .

ونقول أيضا : إن هناك عدالة عميقة كامنة فى هذا المصير .. نارا أبدية أم جنة .. إن كل نفس بينها وبين ذلك المصير النهائى مشكلة تامة ، ومضاهاة واقتلاف فى الحقائق .. فالحقائق النارية

تسكن النار والحقائق النورانية تسكن الجنة .. فلا قسوة هناك ولا وحشية ، إنما وضع كل شيء فى مكانه .

والسر الآخر الذى ينكشف لنا أن البيئة لا يمكن أن تصنع من إنسان صالح (نفسه صالحة بالحقيقة) إنسانا مجرما ولا العكس ، وأن الكلام على أن مظالم المجتمع جعلت فلانا لصا ، هذا الكلام لا يصدق دينيا ولا واقعا . فالمجتمع يضع للجريمة إطارها فقط ولكن لا ينشئ جريمة فى إنسان غير مجرم .. بمعنى أن لص هذا الزمان تعطيه امكانات العصر العلمية وسائل الكترونية وأشعة ليزر ليفتح بها الخزائن ، بينما نفس اللص منذ عشرين سنة لم يكن يجد إلا طفاشة .. كما أن قاتل اليوم يمكن أن يستخدم بندقية مزودة بتلسكوب (كما فعل قاتل كنيدي) بينما هو فى أيام قريش لا يجد إلا سيفاً ، ثم قبل ذلك بعدة قرون لا يجد إلا عصا ، ثم قبل ذلك على أيام قابيل وهابيل لا يجد إلا الحجارة .

إن المجتمع والعصر والظروف تصنع للجريمة شكلها ، ولكنها لا تنشئ مجرما من عدم ، ولا تصنع إنسانا صالحا من نفس لاصلاح فيها .

وبالمثل لا يستطيع الأبوان بحسن تربيتهما أن يقلبا الحقائق فيخلقا من ابنهما المجرم ابنا صالحا ولا العكس .

ونجد فى سورة الكهف حكاية عن غلام مجرم كافر ، أبواه مؤمنان :

﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ﴾ (الكهف : الآية ٨٠)

وبعض الأنبياء كانوا من آباء كفرة ، واستجابت أكثر الأقوام لهؤلاء الأنبياء ولم يستجب الآباء .

■ من أنت ؟ ■

من الذى يستطيع أن يقلب حقائق الأنفس ويغيرها ؟ لا أحد سوى الله وحده .

والله لا يفعل ذلك إلا إذا طلبت النفس ذاتها أن تتغير وابتهلت من أجل ذلك ، لأنه واثقنا جميعا على الحرية التامة وعلى أنه لا إكراه فى الدين .. وأن من شاء أن يكفر فليكفر ، ومن شاء أن يؤمن فليؤمن .. وأنه لن يقهر نفسا على غير هواها .. وأنه لن يغير من نفس إلا إذا بادرت بالتغيير وطلبت التغير :

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾

(الرعد : الآية ١١)

وتلك هى التزكية :

﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا

ولكن الله يزكى من يشاء ﴾ (النور . الآية ٢١)

وعلى الإنسان أن يبدأ بتزكية نفسه وتطهيرها :

﴿ قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾

(الشمس : الآيتان ٩ : ١٠)

﴿ ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ﴾ (قاطر : الآية ١٨)

ولا سبيل إلى تطهير النفس وتزكيتها إلا بإتقان العبادة والتزام

الطاعات ، وإطالة السجود وفعل الصالحات .

وبحكم رتبة العبودية يصبح الإنسان مستحقا للمدد من ربه .

فيمده الله بنوره ويهيء له أسباب الخروج من ظلمته .

وذلك هو سلوك الطريق عند الصوفية بالتخلية (تخلية النفس

من الصفات المذمومة) ثم التحلية (تحلية القلب بالذكر

والفضائل) والتعلق والتخلق والتحقيق .

والتعلق عندهم هو التعلق بالله وترك التعلق بما سواه والتخلق

■ من أنت ؟ ■

هو محاولة التحلى بأسمائه الحسنى ، الرحيم والكريم والودود
والرؤوف والحليم والصبور والشكور .. قولا وفعلا .
والتحقق هو أن تصل إلى أقصى درجات الصفاء واللفظ
والمشاكلة ، فتصبح ربانيا فى طباعك أو تكاد .

ولا سبيل إلى صعود هذا المعراج إلا بالعبادة والطاعة والعمل
الصالح ، والتزام المنهج القرآنى والسلوك على قدم محمد العبد
الكامل ، والعارف الكامل عليه صلوات الله وسلامه .

والذى يعلق على هذا الكلام فيقول :

قولك عن النفس إنها « السر » هو كلام أغمضت فيه ، وألغزت
وحجبت وما كشفت .

أقول له إن نفسا فيها القابلية للحركة على جميع تلك المعارج
صعودا ، وهبوطا ، وفيها القابلية أن تكون ربانية أو شيطانية أو
حيوانية أو جمادية .

نفس بهذه الامكانيات هى « السر الأعظم » ذاته ، ومن ادعى
أنه أدرك السر الأعظم !!!

إن هى إلا أصابع تشير .

والمشار إليه لا يعلمه إلا الله .

ونحن جميعا لا نعلم .

ماذا وراء

بوابة الموت



الصوفى

والبحر

مد الرجل ساقيه فى استرخاء لذيذ، ونظر إلى
البحر المديد الأزرق كأنه يشربه ويشرب لونه.
وترك روحه ترضع من هذه الشفافية اللؤلؤية
والأنوار المتشعة الذائبة فى المياه.

شئ ما فى ذلك البحر كان يبدو لعينيه. وكأنه
من وراء العقل ومن وراء الحس.. شئ كالغيب، يسطع خلال
المظاهر.

وتذكر كلمات ذلك الصوفى الذى قال إنه اشتاق إلى ربه، وإنه
احترق إليه شوقا، وكاد عقله يهلك عجزا عن بلوغه لولا أن نور الله
كان يلوح له من وراء أستار الغيب، ومن خلال الجمال المتجلى
فى الوجود فيروى ظمأه بين الحين والحين.

وذلك هو الشرب والسكر الذى يحكى عنه الصوفية.

شرب الجمال المتجلى فى الوجود.

ذلك الشرب المغيب الذى يترك الروح نشوانة.. هيمانة.. تهتف:

الله.. الله.

وقد أدرك صاحبنا فى جلسته أمام البحر لأول مرة ذلك
المعنى البعيد الذى حكى عنه.. الصوفية.. وشعر بذلك الشرب
المغيب.. وهتفت روحه النشوانة، وقد أدركت طرفا من تلك
الحضرة الإلهية المتجلية فى الأشياء.. هتفت هيمانة سكرانة.. الله.
لقد اتصلت روحه لأول مرة بنبع الحسن، ومصدر الفتنة وسر

الجلال والجمال فى الأشياء.. وبأشر تلك الرجفة الكهربائية
وأحس بتلك الرعدة الروحية وهو يلامس السر السارى فى
الوجود وفى نفسه.

وذلك هو حضور المحبوبة المعشوقة التى كان يسأل عنها
المحب الهيمان طوال الوقت، ويبحث عنها ويرتحل إليها وهى
طوال الوقت معه دون أن يدرك.. فى سواد عينيه.. وفى حنايا
ضلوعه.. وأقرب إليه من حبل الوريد..

ومن عجب أنى أحسن إليهمو

وأسأل عنهم من أرى وهمو معى

وترصدهم عينى وهم فى سوادها

ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

فما كان الحسن والجمال والفتنة التى لمح طرفا منها فى
الشفاه والخدود والقنود إلا مددا من ذلك الغيب المغيب، ولا كان
إلا تجليا لذات الحسن المتفردة.. «الذات الإلهية» التى هى أقرب
إليه من نفسه وأقرب إلى عينيه من سوادهما، وأقرب إلى لسانه
من نطقه.

إن ليلاه فيه .. وهو يقطع البوادر بحثا عنها. «وذات الحسن
المتفرد» التى أفاضت من حسناتها البديع على كل شىء.. أقرب إليه
من حبل وريده، وأوثق اتصالا به من دمه فى شرايينه.

وحينما يدرك الصوفى ذلك يصيبه برد السلام، ويهدأ فى
جوانحه طائر القلب، وتنشر عليه السكينة لواءها، ويصبح صاحب
الوجه النورانى، والنفس المطمئنة التى لا تزلزلها الزلازل
ولا تحركها النوازل.

شعر صاحبنا بتلك الأنوار وهو جالس أمام البحر، وأمامه

قطف من عنب مثليج.. ورأى كل حبة عنب وكأنها تخزن داخلها نورا.. وحينما ذابت في فمه بردا وحلاوة شعر كأنما تعطيه سرها وتبوح له بمكنونها.. وكان في تذوقه لحلاوتها شيء كالعبادة.. وكأنما كان ربه هو الذي يطعمه ويسقيه مباشرة، وبدون وساطة ويناوله من كفه الرحمانية ليأكل ويشرب..

وتذكر قول عميد العشاق الإلهيين ابن الفارض
شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فوصف الشاعر خمرا للكرم من قبل أن يخلق الكرم. وتلك هي خمرة السر المودع في الأشياء من قبل أن تخلق الأشياء تلك هي خمرة ﴿فإذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾.. خمرة الأنوار المودعة في الأشياء. وكل مؤمن مازال يعاود السجود مثل الملائكة كلما استشعر هذه الأنوار.. وكلما باشر سرها وذاق حلاوتها سجدت جوارحه وهتفت نفسه.. الله.. الله..

وشوش له البحر بهذه الكلمات، وكاشفه بتلك الأسرار وهو يهدده بأمواجه، ويتناثر كحبات الماس على وجهه وساقبيه. وبقدر ما كانت صفحة البحر تبدو له هادئة ساكنة مطمئنة.. كان باطن البحر يقول له.. باطني وسع العالمين.. وسع الحياة والموت.. وسع كل شيء علما.

كان البحر أشبه بالرمز المهموس، والإشارة الدالة والمثل المضروب على القدرة:

﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾
(النور: الآية ٥)

ذلك هو الضوء في المصباح واللؤلؤة في الصدفة، والروح في الإنسان، والجمال في البحر، وتلك هي النفخة التي تدل على النافخ ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ﴾.

فالزيت يسرى فيها من الذات المباركة التي تضيء بذاتها بدون حاجة إلى نار تشعلها.. الذات التي نورها مصدر كل الأنوار.. وتلك هي الشجرة المباركة المنزهة عن الجهات.. فلا هي شرقية ولا هي غربية.. فهي فوق المكان والزمان ومنزهة عن الأسباب فهي تضيء بلا نار.. تلك هي الذات الإلهية المتعالية على الصور.. ومع ذلك تتجلى في كل الصور

﴿ هو الظاهر والباطن ﴾

ظاهر في البحر والشمس والنجوم، وفي وجوه الحسان ولكنه غيرها جميعا.

هو الظاهر سبحانه، ولكنه ليس المظاهر.

وتلك هي الفتنة التي يقع فيها المؤمن والكافر.

تقول له المظاهر الجميلة وهي تدعوه إلى نفسها بجمالها ﴿إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾.

فإذا افتتن بها ووقع في أسر جمالها وعبدها، وقع في الشرك الخفي وهلك.

وذلك هو حال الأغلبية والكثرة من عشاق المظاهر وعباد المال والجاه والنساء.

وإذا أدرك أن فتنتها ليست منها ولكن من الله المتجلى فيها وأنها كالمصابيح في زجاجات، ولكنها مصابيح لا تضيء بذاتها، وإنما بمدد وأسلاك من شجرة مباركة هي التي تأتي منها الإنارة لكل المصابيح.. إذا أدرك ذلك تجاوز بعبادته كل المظاهر وكل

المصابيح المنيرة، وتوجه إلى الله الذي ينيرها كلها بنوره.. وخرج من زحام الكثرة إلى صفاء الوحدة.. واختص الله وحده بالعبادة.. وإذا فعل ذلك نجا. وذلك حال القلة من العارفين. وهذا سر الدنيا.. ولهذا خلقها الله.. لتمتحن بإغرائها معادن النفوس، ويتميز بها العارف من الجاهل.. وتتميز بها المراتب والمنازل والدرجات.. ويعرف بها أهل الصدق صدقهم، وأهل الكذب كذبهم حينما تنشر الأعمال، وتهتك الأسرار في يوم الحشر ويوم التغاين الذي لا ينفع فيه ادعاء الأدياء.. يوم يشعر كل إنسان أنه غبن نفسه حينما تعجل لذة تافهة وزائلة لا تساوي شيئاً وحرم نفسه من ميراث جنة لا تنفذ لذائذها وشوش له البحر.. وهمس الموج وتناثر كالماس على وجهه وقدميه.
واتصل السر بالسر.
ومضى الحوار.

ماذا وراء

بوابة الموت



لحظ

النسوة!

لا أظننى وحدى الذى عشت تلك اللحظات
وباشرت ذلك الشعور .. ذلك الإحساس المؤنس قد
عاشه كل منا حينما بلغ شاطئ البحر وألقى بكل
همومه خلفه وطرح الدنيا وراءه وألقى بنظرة شوق
عانقت المياه اللازوردية وغرقت فى لا نهائية الأفق
واستسلمت لتلك المعية المبهمة وذلك الحضور الغيبي .. ذلك
العناق الجميل مع المطلق .. فأنا وحدى ولست وحدى .. فمن
وراء الزرقة اللازوردية ومن خلف هممة الموج ومن وراء هذا
الإطار البديع واللوحة المرسومة بإعجاز هناك يد الخالق المبدعة
لكل هذا .. هناك ذات الرسام انشقت عنها الحجب واستشفها
الوجدان واستشرفت البصيرة .
فكأنما يدور الخطاب بين ذات الرب وذات العبد .. وكأنما
يقول ربى :

ليس بينى وبينك بين .. ليس بينى وبينك أنت .
هذا أنا وأينما توليت فليس ثمة إلا وجهى كل شئ لى ، فكيف
تنازعنى مالى ، كل شئ لى وأنا لا شريك لى .
حتى « الأنا » وأنت تدعها ' - سـك ' .. هى لك نفحة منى أعطيها
متى أشاء وأستردها متى أشاء

هى لحظة فريدة من لحظات التجرد الكامل يشعر به أصحاب
القلوب فى مجابهة الجمال .. لحظة من لحظات التبرى والتخلّى

■ لحظات النشوة ! ■

عن كل اللعاوى والمآرب والأوطار .. والخضوع لصولة الجمال والجلال .

لحظة استنارة وإدراك وتوبة وتنازل وإعادة الحق لصاحبه .
ارتفع الحجاب .. وما كان حجابى سوى نفسى .. سوى «الأنأ»
المعاندة داخلى .. فما عادت فى داخلى أنانية ولا منازعة ولا ادعاء
لحق .. فقد أعدت كل الحق لصاحبه .. لله وحده .. فالله وحده هو
الحقيق بأن يقول : « أنا الذى هو أنا » .. إنما أقولها أنا على وجه
الاستعارة .

﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ (الأنفال : الآية ١٧)
﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ (الأنفال : الآية ١٧)
فهذا هو الله يفعل على الدوام .. وهو الفعال لكل شىء .
وحيثما يبدو أن الطبيب هو الذى يشفى والطعام هو الذى
يشبع والماء هو الذى يروى والسهم هو الذى يقتل .. فإنما هى
الأسباب تفعل فى الظاهر .. والله من وراء الأسباب يفعل فى
الحقيقة .. هو .. أنه هو دائما .. هو .

هو الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .
ولحظة الكشف أشهدتنى الإبداء والإعادة فى حكومة التفريد
ومحت عنى ما يرجع إلى ذاتيتى ومحت عنى « الأنأ » الأنانية
داخلى .. ورفعتنى إلى ذروة معرفية .. وإلى مقام .. ما ثم إلا الله .
﴿ قل الله ثم نرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ (الأنعام : الآية ٩١)
﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب
العالمين ﴾ (الأنعام : الآية ١٦٢)

انتهى فى داخلى كل ما يخصنى فأنا كلى لله .. محياى ومماتى
ونسكى وصلاتى .

أكاد أسمع صوت الله فى قلبى .
ألق الاختيار ، ألق المؤاخذة البتة .
تتأزلت ساعتها عن اختياري باختياري ورضيت باختيار الله
وأسلمت ناصيتي لربي فسقطت عنى المؤاخذة وحقت لى المودة..
وذلك هو الإسلام الكامل .. إسلام « الأنا » لخالقها يقلبها فى
الأحوال كيف يشاء .

سقطت كل الدعاوى وعدت إلى المبتدأ .. إلى الفطرة والبركة
الأولى .. حيث ماثم إلا هو .. وذلك مقام الفناء عند أهل الأشواق .
وهو حظ الأفراد الكمل والأنبياء والصديقين والأبرار يعيشونه
طوال الوقت ، أما نحن فحظنا من هذا المقام لحظة .

حظنا .. شميم .. ووقفة على العتبات ذات صباح .
يقول العارف الكامل محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفرى :
بداية الوقفة ألا يكون هناك « سوى » لتكون عنده وقفة . فأنت
لا تعود ترى إلا الله حيثما توجهت .

﴿ فإينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾
(البقرة : الآية ١١٥)

لا شىء سوى الله .
على اتساع الوجود .. لا موجود بحق إلا هو .. وإنما وجودنا
مستعار منه ومقترض من وجوده وموهوب من فضله .
ومن يؤتى هذا الإحساس تكون حياته كلها سكر وعذابه كله
شكر .

يقول مولانا الشاذلى لربه مبتهلا :
« خذنى إليك منى وارزقنى الفناء عنى .. ولا تجعلنى محجوبا
بحسى مفتونا بنفسى » .

إنه يريد أن يستحضر تلك اللحظات على الدوام ويعيش في هذا القرب طوال حياته .. وهيئات .. فهذا مقام لا ينال بالتمنى .. ولا يبلغه إلا آحاد .. هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى .. وصنعهم الله على عينه .

ومن يتذوق تلك اللحظات يشتاقتها ويتشممها ويتحسسها من وراء الحجب والأسباب والمظاهر ويراهما في التعميم وفي العذاب وفي العطاء وفي الحرمان .

ويقول هذا العارف المشتاق :

ولولا سطوع الغيب في كل مظهر

لأحرقني شوقي وأهلكني وجدي

فهو يرى ذات الحق تسطع من وراء الحجب والمظاهر تبدو له في كل شيء في ابتسامة الوليد وفي تفتح البرعم وفي طلعة الفجر ، وفي حمرة الشفق ، وفي زرقة البحر ، وفي عطر الورود ، وفي العطاء ، وفي الحرمان ، وفي البلاء ، وفي النعيم .

وهو يقرأ مشيئة الله تعالى في الحوادث ويفض شفرة إرادته في مجريات التاريخ .

والعارفون الكمل كالأطفال الأطهار يحيون في انبهار دائم طوال الوقت ويقولون : نحن في سعادة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف .

وهي ليست سعادة السلبية والعزلة والانقطاع بل هي سعادة إيجابية فاعلة ، فالكاملون منهم مثل سيدى أبو الحسن الشاذلى وعبدالقادر الجائزى ونجم الدين كبرى حاربوا الصليبيين والقتار وقاتلوا الاستعمار في الشمال الإفريقى وفي السودان وتصدوا للباطل حيث كان ولم يركنوا للعزلة ولا للتواكل .

وكان نجم الدين كبرى يقذف بالحجارة التتار الذين يرمونه بالنبل .. وهو يترنم فى تشوة هائقة : اقتلتى بالوصال أو بالفراق.. حتى سقط فى بركة من دمه ولفظ أنفاسه . فلم يكن يبالي على أى وجه كان فى الله مقتله فهو المحب المشتاق فى جميع الأحوال .

وهؤلاء هم الأكابر الأفراد .. حظنا منهم لحظة .. وشميم حال.. وذكرى عطرة .. وتلك هى صرافة التوحيد وترنيمه لا إله إلا الله.. تجدها شذرات متفرقة فى الإنجيل وفى التوراة وفى تشيد اخناتون وفى كتاب الموتى .. وتجدها مستخلصة مجموعة مكثفة عميقة هائلة فى القرآن وكأنما هى معزوقة سماوية أو سيمفونية علوية قدسية تترنم بها السطور والآيات .

وفى بحار ابن عربى وأبو حامد الغزالى وابن الفارض وابن عطاء الله تجد سكارى التوحيد من الأكابر الذين سجدوا فسجدت قلوبهم فلم ترتفع من سجدها حتى لفظوا أنفاسهم .. جعلنا الله منهم وختم لنا بالسلامة ببركتهم إنه سميع مجيب .

التجلى الآخر

وقد يعتب على الأصدقاء الخالصاء ويقولون لى كيف تترك نفسك لتغيب فى السكر والوصال الصوفى وقد عهدناك صاحبيا لدرجة الصراخ .

وأقول لهم : إنما أسكر لأصحو وأفريق وأستجمع نفسى وأحتشد لألتحم من جديد بهذا العالم وأصرخ فالواقع الذى تعيشه أمر من أن نصارعه فرادى .. إنما نصارعه بالله .. وبدون الله لا أمل .

وكان نبينا يقول لربه : بك أحيأ وبك أموت وبك أصول وبك أجول ولا فخر لى .

وقد حاول جبابرة روسيا لينين وستالين وغيرهما أن ينهضوا بروسيا بدون الله وبدون دين فسقطوا بها وسقطوا معها إلى الهاوية .

ومثل تجلى الله البديع والجميل فى سماواته والذى ذكرناه فى وقفة البحر .. كان تجلى الرحيم والرحمن والناصر والجبار والمنتقم فى غزوة بدر على قلة من المسلمين بلا عدة وبلا عدد فانصروا على كثرة مسلحين بالعدة والعتاد .

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ﴾ (آل عمران: الآية ١٢٣)
﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ (البقرة : الآية ٢١٤)
فتجلى عليهم الله بنصره .

ويأتى النصر فى الحالىن على غير المألوف فتنتصر القلة على الكثرة وتنهزم العدة والعتاد أمام الفقر العسكرى والحربى .. حتى تكون حجة الله ملزمة وحتى لا يخرج من المنتصرين من يقول :
إن الخطة والتكتيك والكر والفر هو الذى أتى بالنصر .. والله هو الفاعل دائما فى جميع الحالات ولكنه يتخفى بالأسباب .

وما شقت عصا موسى البحر ولا ابتلعت ما يلقي السحرة من أفاع وثعابين ولا فجرت عيون الماء من الصخر .. ولكن الله هو الفاعل من وراء الأسباب وتلك مشيئته وكلمته وإنما أخفى إرادته فى أسبابه .

وإنما يكون التجلى أحيانا باهرا ساحرا وخالبا للألباب لينقطع الشك وما السيول والأعاصير والزلازل والبراكين والصواعق إلا جند من جنود ربك : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ .

■ لحظات النشوة ! ■

ولا يقنط المؤمن ولا ييأس ولا يلقي سلاحه مهما تكاثر عليه الأعداء ومهما حاصرتة الهموم .. لأنه يرى قدرة الله فى كل شىء.. ويرى البعوضة حاملة الملاريا مجندة ويرى الفيروس حامل الإيدز مجندا .. ويرى الإعصار مجندا .. والرصاصات مجندة.. ويرى مشيئة الله تفعل ولا سواها .

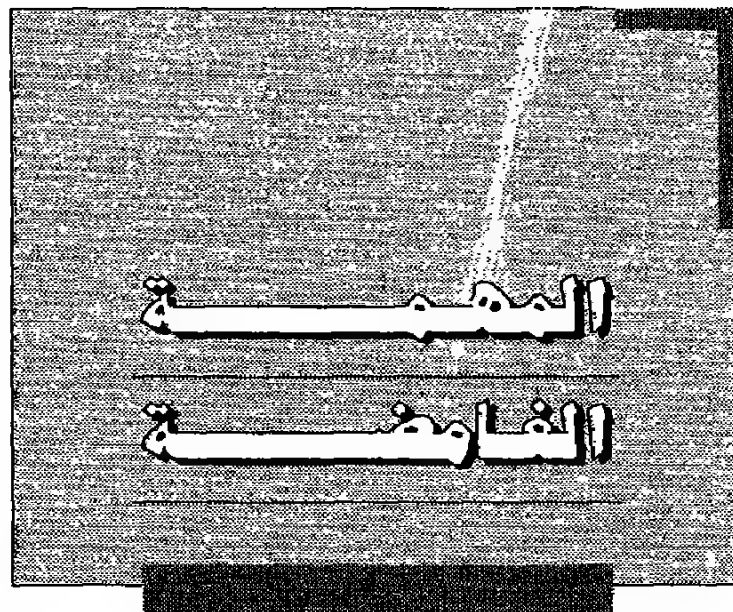
والصمود أمام المحال من صفات المؤمن لأنه يعلم أنه يصارع بيد الله لا بيده .. وهو لا يعرف الجبن ولا الخوف ولا الفرار . ولهذا اقتضى الإيمان .. الابتلاء .. لأن الكلام سهل ولأن كل واجد يدعى أنه مؤمن وأنه مستحق للجنة .. وقد زعم الجبابرة أمام شعوبهم حتى لحظة موتهم ، أنهم كانوا يحسنون صنعا واعتقدوا أنهم يستحقون التمجيد والإشادة .. فلزم الابتلاء حتى يصحو كل واحد على حقيقته وحتى يعلم منزلته .. والله فى غير حاجة إلى الابتلاء فهو يعلم منازلنا منذ الأزل . ولكننا نحن الذين يلزمنا الابتلاء حتى نعرف أنفسنا واليوم استدار الزمان دورة كاملة ونوشك أن نقبل على معركة بدر أخرى ويتكاثر علينا الأعداء من خارجنا ومن أنفسنا ونتراجع حتى يصبح ظهرنا إلى الحائط.. ويجثم علينا مستقبل مظلم .. ونعود أحوج ما نكون إلى الإيمان الصحيح والمعرفة الصحيحة بالله .. فلا سلاح حقيقى إلا هو ولا حصن إلا حصنه .

وتتجمع النذر والبشارات فى الأفق .

فهل نحن فى مستوى الامتحان ؟

وهل نحن مؤمنون حقا ؟

هذا هو السؤال الذى سوف تجيب عنه السنوات العصيبة القادمة .



ماذا تريد منا الطبيعة ؟ ..
هل كل واحد منا جاء إلى هذه الدنيا بمهمة ..
وتكليف .. ورسالة عليه أن يؤديها ؟
هل الميلاذ والنزول على هذه الأرض .. كان له
سبب وغاية ؟

فى بریدی كل يوم أسئلة حائرة من هذا اللون .
لماذا خلقنا .

لماذا جئنا إلى هذه الدنيا ؟
ماذا يراد بنا أن نفعل ؟

هل لوجودنا حكمة وسبب وغاية ؟ أم أننا خلقنا لنموت
والمسألة كلها عبث وسخف كما نقرأ فى كتب فلاسفة العبث ،
وكما نرى فى مسرح اللامعقول ؟ .
وهل دورنا فقط أن نواجه هذا السخف وبطولتنا أن نتمرد عليه
ونتحداه كما يقول كامو ؟ بطولتنا أن نلحق جراحنا ونصرخ ..
سنعيش برغم العذاب وبرغم الألم ، ونصطنع لأنفسنا وهما
وحلما .

وهل تكون حياة تلك التى نبنيها على وهم ؟ .
سؤال خطير وكبير .

والإجابة القاطعة عليه تحتاج إلى الإحاطة الكاملة بعملية
الحياة ، والإحاطة بالزمن كله .. وما دار فيه من مبدئه فى

■ المهمة الخامسة ■

الماضى السحيق إلى انتهاء فى المستقبل .. فى الآخرة بعد عمر طويل .

لكى تعرف لماذا قامت الحرب .. وما دورها .. لابد أن يكون لديك علم كامل بما كان يجرى قبل هذه الحرب .. وما جرى أثناءها .. وما جرى بعدها .. أما إذا كنت جندياً بسيطاً فى الكتيبة تتلقى أمراً وتنفذه ثم تموت فلن تكون حياتك أكثر من لحظة فى هذه الحرب .. ولن تستشرف من مكانك رؤية تعرف منها القصة كلها بخباياها وأسرارها .

إن العلم عند القائد .. عند الخالق الذى بعث بك إلى الصفوف الأولى .. وزودك بنخيرة العمر المحدودة من ستين طلقة فى ستين سنة هى كل عمرك .

الخطة كلها فى رأسه .. أنت بقدر واحد فى الخطة .. أنت ورقة فى الدوسيه .

سطر .

كلمة .

حرف .. فى كتاب رائع لا نهائى اسمه الدنيا .

ولن يستطيع الحرف أن يدرك الغاية من وجوده إلا إذا أدرك الدور الذى يقوم به فى السطر الذى يشترك فى حروفه .. وإلا إذا أدرك المعنى الذى يدل عليه السطر فى داخل المقال .. والمقال فى داخل الكتاب .

لا بد أن يكون عمرك هو عمر الأبد لتحضر رواية الحياة بكل فصولها وتعرف الحكاية .

أما وأنت حالك حال ممثل فى سلسلة إذاعية يطلق عليه الرصاص فى الحلقة الأولى ويموت .. فإن طلبه معرفة معنى

حياته .. يكون طالبا يتجاوز فيه حدوده .. ويطلب فيه المستحيل ..
الجواب اليقين فى هذا السؤال إذن غير ممكن .
وكل مانستطيع أن نفعله هو أن نحس .
ونخمن .. ونشطع بذهننا .
وأنا أحاول دائما أن أقرأ الإجابة .. لا من كتاب ولا من نظرية..
ولا من عقيدة .
ولكنى أحاول أن أقرأ الإجابة من التاريخ نفسه .. من حكاية
التطور .. من استقرار الطبيعة مباشرة .
أنا أحاول أن أفهم ماذا تريد الحياة بنباتاتها وحيواناتها وماذا
فعلت بهذه المخلوقات على مر العصور .
الحياة لها حكاية .
لقد بدأت بسيطة على شكل ميكروب .. خلية واحدة تقوم بكل
الوظائف .. تتنفس وتتغذى وتنمو وتحرك بدون أجهزة
متخصصة.
ثم انقسمت الخلية إلى خليتين .. وكل خلية إلى خليتين
وخرجت من الخلية الواحدة أعداد لا حصر لها من الخلايا .
ثم بدأت هذه الخلايا تتجمع فى قبائل وقطعان تتحرك معا
وتعيش معا .. ثم تلاصقت هذه الأعداد .. لتؤلف مخلوقات
مركبة عديدة الخلايا ذات أجهزة متخصصة .. أقسام من خلاياها
للتنفس.. وأقسام للتغذى .. وأقسام للحركة.. وأقسام للإفراز ..
ونشأ النبات والحيوان المتطور .
وبمضى الأجيال والأحقاب الطويلة .. نشأت فصائل من النبات
والحيوان .. كل منها تكيفت مع بيئتها .. نباتات الصبار فى
الصحارى اتخذت لنفسها أوراقا ، وسيقاننا لتخزن فيها الماء ..

■ المهمة الفامضة ■

والحيوانات المائية اتخذت لها زعانف لتسبح .. والحيوانات البرية اتخذت لها أرجلا لتمشى .. والحيوانات الجوية اتخذت لها أجنحة لتطير .

مرحلة بعد مرحلة .. انتقلت الحياة من الوحدة إلى التعدد .. ومن البساطة إلى التركيب .. ثم مزيد من التركيب .. وهو تركيب له غاية واضحة .. هو سيادة الحيوان على بيئته .. وسيطرته على ظروفه .. الأجنحة أعطت الطائر القدرة على ركوب الجو والزعانف منحت الأسماك القدرة على ركوب البحر .. والأرجل منحت الدواب القدرة على الدبيب على البر .

وحينما ظهر الإنسان استطاع عن طريق عقله أن يقفز قفزة واسعة .. فهو لم ينتظر مليون سنة لتنمو له أجنحة يطير بها وزعانف يسبح بها .. وإنما اخترع الأدوات .. اخترع العرببة والباخرة والطائرة والغواصة والصاروخ .. وهى أعضاء جديدة حديدية أضافها إلى بنيانه وانطلق يغزو بها الكون .. ولكنه مازال يجرى فى نفس الخط الذى كان يسير فيه الميكروب .. من الوحدة إلى التعدد « من الفرد إلى المجتمع » ومن البساطة إلى التركيب .. ومن التركيب إلى مزيد من التركيب « الاختراعات والقوى الآلية التى تزداد تركيبا وتعقيدا يوما بعد يوم .. وبالحياة المدنية التى يعيشها والتى يتعقد فيها كل شىء بشكل مطرد .. من الكساء إلى الغذاء إلى الدواء إلى المعاملات والتنظيمات الخ .. الخ »

ومرة أخرى كان هذا التعقد يهدف إلى نفس الغاية التى هدف إليها الميكروب فى تطوره .. كان يهدف إلى السيطرة على البيئة والسيادة على الظروف .. إلى ركوب الطبيعة واستغلالها وقيادتها بدلا من الخضوع للطبيعة والانقياد لها والتقيد بأغلالها .

■ المهمة الفامضة ■

كان يهدف إلى القوة والقدرة والمعرفة والوعى والحرية
ويكافح فى سبيل الاستمرار والبقاء وهزيمة الموت : وفى سبيل
أن يكون الإنسان هو السيد .. هو القدر .

ونحن حينما نبنى سدا عاليا ننظم به ماء النيل .. نحن نسير
فى خط التطور ... وفق الغايات العليا المكتوبة فى سفر الحياة :
وهى أن نسود الطبيعة وننظمها ونستغلها ونخط قدرنا وقسمتنا
بأنفسنا .

الحياة إذن فيها غاية .

وهى برغم الموت .. وبرغم الألم والمرض والشيخوخة والشر
والعبث .. برغم كل هذا تبدو متماسكة متصلة الحلقات منطلقة إلى
غايتها مكرسة فيها الزمن كلها والخلقة كلها جيلا بعد جيل .

هناك مهمة ورسالة وتكليف .. كل منا ينزل إلى الأرض وفى
عنقه هذا التكليف .. أن يضيف طوبة جديدة إلى القلعة الحصينة
التي بنتها الحياة لتتحصن فيها وتقود منها التاريخ وتسوس
الكون والطبيعة لصالحها .

ونحن مزودون من أجل هذه المهمة بجميع الأدوات الضرورية
بالعقل والإرادة والإصرار ، ومزودون بتراث من العلوم
والمعارف والخبرات .

نحن الوارثون لكل هذه المعارف لكى نضيف إليها .. وىضيف
الذين يأتون بعدنا فى سعى متصل .. لا يعنى فيه الموت شيئا ..
ولا يؤدى إلى أى انقطاع .. وكأنما الإنسانية كلها .. والحياة كلها
مخلوق واحد .

حتى الجماد كان له فى سفر التطور شأن مماثل .. فقد خضع
لنفس الناموس .. فمن ذرة الأيدروجين البسيطة المؤلفة من

■ المهمة الفارقة ■

ألكترون واحد وبروتون واحد .. من هذه الوحدات الأولية .. وبدخولها فى علاقات .. نشأت ذرات أكثر تركيباً .. وأكثر تعقيداً .. مرة أخرى .. انتقال من البساطة إلى التركيب ومن الوحدة إلى التعدد حتى نصل إلى ذرة اليورانيوم وهى ذرة ثقيلة نشطة ترسل إشعاعاً .

ومن ذرة الكربون القلقة المتعطشة إلى الاتحاد بالذرات الأخرى نشأت سلاسل المواد الهيدروكربونية وهى مواد أكثر تراكباً وأكثر تعقيداً ، حتى نصل إلى جزئى البروتين الحى فنصل إلى أكثر الوحدات المادية تعقيداً وتراكباً وثقلاً .

وهناك نظرية فلكية تقول : إن كل شىء نشأ من النور من هذه المادة اللطيفة المفرطة فى البساطة .. هذا الإشعاع المؤلف من فتافيت مادية مفرطة فى الصغر .. اسمها الفوتونات .. هذه الوحدات التى هى أصغر وحدات الكون وأسرعها حركة وأبسطها تكويناً فتافيت أشعة جاما .. وبيتا والأشعة الكونية .. هذه الوحدات التقت فى فضاء الكون الشاسع فى مكان ما ونشأت منها تواليف هى التى أنتجت فيما بعد الألكترون والبروتون .. ومن الألكترون والبروتون تكونت ذرة الهيدروجين .. ثم سائر الذرات .. إلخ .. من البساطة إلى التركيب ثم إلى مزيد من التركيب.

هناك خط سير إذن .

الحياة ليست خبط عشواء .. ولا مصادفات ولا عبث .

والكون ليس حركة بلا وجهة .

ولنا حركة ذات وجهة .

المادة تتطور فى خط سير واضح من الوحدة إلى التعدد ..

■ المهمة القامضة ■

ومن البساطة إلى التركيب . ومن العجز إلى القدرة .. ومن العماء إلى الرؤية . ومن الخضوع للطبيعة إلى السيادة على الطبيعة .. وإخضاع الطبيعة .. ومن الظلام إلى النور ومن الجهل إلى المعرفة .

وقد يعود السائل فيسأل مرة أخرى .

ولماذا تكون هناك حياة من الأصل ، ولماذا يكون هناك أى اتجاه إلى السيادة على الطبيعة .

ألا يكفي أن تكون هناك طبيعة .. ما الداعى لأن تعى الطبيعة نفسها .. وتقود نفسها بنفسها .

والجواب أنها بهذا تحقق الحرية.

بالمعرفة والوعى والقوة والسيادة يكتشف الإنسان نفسه ويمتلك كنوز عقله .. ويسيطر على الطبيعة حوله ويحقق حريته ووجوده ويعرف نفسه ويعرف ربه ويبلغ السعادة .. والسعادة لا تبحث لنفسها عن سبب .. فهي دائما غاية ذاتها .

ويعود السائل فيقول إن هذا الكلام يفسر لنا التطور والتاريخ واتجاه الطبيعة فى سيرها .. ولكنه لا يفسر وجودها لماذا وجدت من الأصل .

لماذا يكون هناك امتلاء ولا يكون هناك خلاء ، لماذا وجود لا عدم ؟

والعقاد رحمه الله له رد على هذه المعضلة . فهو يقول بأسلوبه المنطقى .. إن عدم معدوم فلا وجه للقول بوجوده أو مناقشة وجوده .

ومادام عدم معدوما فالوجود امتلاء صرف لا نهاية له ولا آخر ولا حدود .. لأن الوجود لا يمكن أن يحده سوى عدم والععدم معدوم .

■ المهمة الغامضة ■

فالوجود إذن لا مبدأ له ولا منتهى .. ولا يصح السؤال عن متى خلق .. ولم خلق .. فهو أبدي في الزمان ، ولم يكن معدوما ليقال .. متى خلق .. وهى حجج منطقية ترضى العقل .. ولكنها لا تشبع الشعور الذى يعانى الموت .. ويحس بدبيب العدم فى زحف الشيخوخة على الأوصال .

إن السؤال يفرض نفسه برغم لا معقوليته ويلج على الحواس . ولم كان كل هذا .

وما الحكاية .. وما القصة .

ولم بدأت .. مادام مصيرها أن تنتهى .

هناك سر .

هناك ثغرة .. فى هذا البناء المنطقى الذى بنته لنا الفلسفة .

إن كل حجج الفلسفة تنهار أمام ضربات الموت وكأنها خيوط

عنكبوت .. وكأنها كلام .. مجرد كلام .. لا يشفى ولا يشبع ..

ولا يزن شيئا أمام واقع مر أليم شاخص أمام الحواس .

هذا البناء المتهاوى من المنطق لا يمسك نفسه .. وهو يكشف

عن قصوره .

هناك سر .

وأنا اعتقد أن هناك أسراراً لا سرا واحدا . وأن علمنا لا يغطى

كل شيء وأن عمرنا المحدود لا يمكن أن يعطى إلا لمحة محدودة

من الحقيقة .. وإننا نحن جنود الكتيبة التى اسمها « القرن

العشرين » موفدون فى مهمة محدودة تنتهى بنهاية عمرنا ..

ولا يمكن أن نعرف خبايا الخطة كلها .. فالخطة فى رأس القائد ..

الخالق .. ونحن مجرد بند فى الخطة .. ورقة فى الدوسيه ..

حرف .. ولا يمكن لنا أن نحيط بالحقيقة .

■ المهمة الغامضة ■

الحقيقة لا تدركها إلا عين تنظر من ربوة الأبدية على الزمن كله.

كل ما أستطيع معرفته هو أن هذه الحياة ليست عبثا ولا سخفا.. وإنما هي نظام محكم له غايات .. وأننا نسير كالجيش.. لنا مسيرة .. ولنا مخطط وأنا لا أعرف المخطط كله .. وإنما أعرف القليل جدا .

ولكن على مرور الزمن اللانهائي .. تكتشف الحياة طريقها .. وتزداد معرفتها قليلا بقليل .. فيعرف أحفادي ما لم أعرف أنا .. ويتصل مجرى العلم الذى لا يبدو أنه ينقطع أبدا بموت أحد .. وإنما هو يستمر يحفر طريقه فى الظلمة .

ولا يوهن من عزمى أنى موفد فى هذا الطريق فى بعثة غامضة.. ومهمة غير مفهومة .. فمنتهى شرفى أنى فعلت كل ما أستطيع .

وإذا كان كل ما وصلت إليه أن هدف هذه الرحلة هو التكامل .. تكامل القوة .. وتكامل الحس .. وتكامل السمع .. وتكامل البصر .. وتكامل العقل .. وصولا بذلك إلى معرفة الإنسان لنفسه وإدراكه لربه ومن ثم عبادته .. فإن جلال هذه الأهداف وعظمة هذه الغايات هي مبرر كاف لمشقة الطريق .

وهل بعد الله هدف .. !!؟؟

وهل بعد الله سؤال .. !!؟؟

مَآذَا وَرَاءَ

بَوَابَةِ الْمَوْتِ

٩

كَلَامٌ فِي

الْحَيَاةِ

الحب والهوى والغرام خداع ألوان، ما نراه فى
المحبة مثلما نراه فى قوس قزح، جمال ألوان
قوس قزح ليس من قوس قزح نفسه ولكنه من فعل
نور الشمس على رذاذ المطر المعلق فى الهواء.. فإذا
غابت الشمس وجف المطر اختفت الألوان وذهب
الجمال.

وهكذا محببتك جمالها فيما يتجلى عليها من خالقها.. فإذا
انقطع عنها التجلى شاخت ومرضت وذبلت وعادت قبحا
لا جاذبية فيها.. إن ما كانت تملكه من جمال لم يكن ملكا لها
بالأصالة، بل كان قرضا وسلفة.

حتى السجايا الحلوة والنفوس العذبة والخلال الكريمة هى
بعض ما يتجلى فينا من أسماء خالقنا الكريم الحليم الودود
الرءوف الغفور الرحيم.
أليست هذه أسماءه؟!..

وهل نحب حينما نحب إلا أسماءه حيثما تحققت وأينما تحققت.
وهل نحب حينما نحب سوى حضرته الإلهية فى كل صورة من
صورها.

والحكيم العارف من أدرك هذه الحقيقة فاتجه بحبه إلى الأصل
إلى ربه ولم يلتفت إلى الوسائط ولم يدع بهرج الألوان يعطله.. ولم
يقف عند الأشخاص.. فهو من أهل العزائم لا تعلق له إلا بربه.. لقد
وفر على نفسه خيبة الأمل وانقطاع الرجاء وخداع الألوان.

■ كلام في الحب ■

لقد أحب من لا يهجر، وعشق من لا يفتر، وتعلق بمن لا يغيب،
وارتبط بمن لا يموت، وصاحب من بيده الأمر كله وساهم في
البنك المركزي الذي يخرج منه النقد جميعه.. وهام بالودود حقا
ذاتا وصفاتا وأفعالا..

وذلك هو مذهب العارفين في الحب.

فهل عرفت.

وإذا كنت عرفت.. فهل أنت بمستطيع.

وليس كل عارف بمستطيع.

ومذهب العارفين ليس مجرد معرفة.. ولكنه همة واقتدار وكدح
ومغالبة.. والنفس لا تستطيع أن تعشق إلا ما ترى ولا أن تتعلق
إلا بما تشهد بصرا وسمعا وحواسا.

أما تعلق الفؤاد بالذي ليس كمثله شيء فمرتبة عليا لا يوصل
إليها إلا بالكدح والكفاح والهمة.. وقبل ذلك كله.. بالتوفيق والرضا
من صاحب الأمر كله.

ولهذا أدرك العارفون أن هذا أمرا لا يمكن الوصول إليه إلا
ركوعا وسجودا وابتهاالا وعبادة وطاعة وخضوعا وخشوعا
وتذلا وتجردا وإن هذه مرتبة لا تنال بشهادة جامعية
ولا بماجستير أو دكتوراه، أو تحصيل عقلى.. ولكنها منزلة رفيعة
لا مدخل إليها إلا بالاخلاص وسلامة القلب وطهارة اليد والقدم
والعين والأذن ولا سبيل إليها إلا بخلع النعلين.

تخلع جسدك ونفسك.

وليس مقصود القوم هنا هو الزهد الفارغ والتبطل.. وإنما أن
تخلع حظك وأنانيتك وشهوتك وطمعك وشخصانيتك، وأن ترتد إلى
الطهارة الأولى اللاشخصانية التي تعطى فيها وتحب دون نظر إلى
حظ شخصي أو عائد ذاتي.. فهي حالة عمل وعطاء وبذل وليس
حالة زهد فارغ وتبطل. وهي في ذروتها حالة فداء وتضحية في

سبيل إعلاء كلمة الله.. تضحية لا تنظر إلى نישان أو نصب تذكاري. ولكنها تبذل المال والدم والنفس لوجه الله وحده. ويقول العارفون إن مائدة الاستشهاد هي أعلى موائد التكريم ولا دخول إليها إلا ببطاقة دعوة من صاحبها. ولا دخول إليها اقتحاما أو قهرا وتبجحا.. وإنما هي دعوة من الكريم يتلقاها صاحب الحظ بالتبعية والهولة ويتلقاها المحروم بالتكاسل والتخاذل.. والتخلف.

ذلك هو الحب في مذهب القوم وهو غير الحب في مذهب بعض منتجي أفلام السينما ومؤلفي الرومانتيكيات، وهو أيضا غير الحب عند كثيرين من الناس. حيث الحب هوى ونار وشهوة ولحظات تتألق بالشعر ثم ما تلبث أن تخبو وتنطفئ وتترك رمادا من الأكاذيب.

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (يوسف : الآية ٢١)

﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ (العنكبوت : الآية ٦٣)

﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ (الأنعام : الآية ١١٦)

﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظنا﴾ (يونس : الآية ٣٦)

﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ (النجم : الآية ٢٣)

﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾ (الفرقان : الآية ٤٤)

هكذا يعلمنا القرآن أن الكثرة لا تعرف أما العارفون فقليل ما هم ولكن الصحافة التي تخاطب الكثرة والسينما التي تتملق الجماهير والمؤلفين الذين يطمعون في الرواج والشعراء الذين يتبعهم الغاؤون يتغنون بألوان أخرى من الحب. ويتيهون معها في أودية الغفلة التي تنتهي بنا إلى جنون قيس وانتحار جوليت وسقوط راهب تاييس ومبازل فالنتينو وجرائم آل كابوني وموائد مونت كارلو.

وهو أمر قديم قدم التاريخ منذ أيام بابل، ومنذ أيام أنطونيوس

وكليوباترة ومنذ أيام الفراعنة والإغريق والرومان.. ونقرأ في كتاب الموتى هذه السطور التي كتبها الحكيم المصري منذ خمسة آلاف عام.

لا تنظر إلى امرأة جارك فقد انحرف ألف رجل عن جادة الصواب بسبب ذلك.. إنها لحظة قصيرة كالحلم والندم يتبعها، إنها معارف قديمة منذ أيام آدم. وقصة بائدة منذ مقتل هابيل. ولكن لا أحد يذكر.. ولا أحد يعتبر.. ولا أحد يتعلم من الدرس. وأكثر الذين يعرفون لا تنفعهم معرفتهم بسبب ضعف الهمم وتخاذل الأنفس وغلبة الشهوات.

إن السلالم إلى الأدوار العليا موجودة طول الوقت، ولكن لا أحد يكلف نفسه بصعود الدرج والأغلبية تعيش وتموت في البديروم.

ولو كلف أحد منهم نفسه بالصعود.. وتحمل مشقة الصعود وشاهد المنظر من فوق، لبكى ندما على عمر عاشه في البديروم بين لذات لا تساوي شيئا ولكنه الضعف الذي ينخر في الأبدان. والبشرية تسير من الضعيف إلى الأضعف، والأجيال الجديدة أكثر ضعفا وأكثر تهافتا على العاجل البائس من اللذات، وقرأ المقال من أوله واسأل نفسك. من أي مرتبة من البشر أنت. هل أنت عارف؟ وإذا كنت عارفا. فهل أنت بمستطيع؟

وابك ما شئت من البكاء فلا شيء يستحق أن تبكيه. لافرك ولا فشلك ولا تخلفك ولا مرضك.. فكل هذا يمكن تداركه أما الخطيئة التي تستحق أن تبكيها فهي خطيئة البعد عن إلهك. فإن ضيعت إلهك.. فلا شيء سوف يعوضك. وكل أحلام الشعراء لن تغنيك شيئا.

ماذا وراء

بوابة الموت



بوابة

سعيت وراء علماء التشريح لأعرف ما هو الإنسان.. سرت وراء المشرط وهو ينقب في الأحشاء والمصارين واللحم والعظم.. وهو يفتح القلب ويتتبع الأعصاب حتى نهايتها.. وهو يقطع المخ نصفين، ثم يقطع كل نصف إلى نصفين.

وبعد ثلاثة آلاف صفحة من كتب التشريح لم أصل إلى شيء وكأنما فتحت حقيبة فوجدت داخلها حقيبة ثم حقيبة، وفي نهاية المطاف اكتشفت أنى مازلت واقفا فى مكانى أدق على الباب نفسه من الخارج، لم أَلج إلى الداخل قط.

كنت طول الوقت اتحسس كسوة ذلك الإنسان لاكتشف أن القناع الذى يحجبه ليس ثيابه وحدها.. وإنما جلده ثوب آخر.. ولحمه وشحمه وعظامه كلها ثياب.. أما هو نفسه فبعيد.. بعيد.. تحت هذه الأقمشة السمكة من اللحم والدم.

قالت لى كتب التشريح إن الإنسان مجموعة من الأحشاء فى قرطاس من الجلد.

ولكنها لم تصف لى الإنسان على الإطلاق.

وإنما وصفت ثيابه أما قلبه، أما عواطفه، فإنها ليست فى تلك الكتب.. إنها فىنا نحن الأحياء.. إنها الزامر الذى يتفخ من الداخل فى ذلك البوق الجسدى الذى يتألف من الفم واللسان والشففتين

■ بوجبا ■

واليدنين والرجلين فتنطق وتتحرك كأنما هي دمي خشبية تحركها
خيوط خفية من وراء خباء.

إنها العاطفة.. الإرادة.. الروح.. النفس.. أنا.. سمها كما
تشاء.. ولكنها دائما غاية في الوحدة والبساطة.. وراء هذا العديد
المتعدد من الأعضاء هناك وحدة هناك دائما واحد فقط يتكلم من
داخل المعمار الجسدي المعقد التركيب المتعدد النوافذ
والشرفات.. واحد فقط بالرغم من هذه الألوف المؤلفة من
الأنسجة والملايين بلا عدد من الخلايا.

فإذا نظرت إلى الطبيعة حولك بما فيها من إنسان وحيوان
ونبات لمست مرة أخرى نوعا ثانيا من الوحدة.. فهذا الشئيت
المختلف من أشكال الحياة يخفى وراءه وحدة.

وأنت والشجرة تتألفان من المواد ذاتها.. كربون وماء وأملاح
معدنية.. وكلاهما يتحول بالاحتراق إلى فحم وكل أنواع الحياة
تنهدم بالموت فتستحيل إلى تراب.

أكثر من هذا، يقول لك الفلكي : إن هذا التراب يحتوى على
المواد نفسها التي تتركب منها الشمس والتجوم والكواكب.. وإنك
مهما أوغلت في السماء بين النجوم تجد دائما الشئ نفسه.
والمواد ذاتها.. كل العالم من مادة واحدة أولية لا يمكن أن تكون
كل هذه مصادفات وإنما هي أصبع تشير إلى أن هناك وحدة
نسيج في هذا الكون المتسع العظيم وأنه بالرغم من الكثرة
الظاهرة والتعدد والاختلاف في الأشياء فإنها في الواقع ليست
مختلفة.. وإنما هي مجرد عمائر وتراكيب مختلفة لشئ واحد.

كما تظهر الطاقة مرة على شكل كهرباء. ومرة على شكل
حرارة.. ومرة على شكل ضوء. ومرة على شكل مغناطيسية وهي

■ يوجسا ■

دائما الشيء الواحد ذاته.

الوحدة.. هذا هو موضوع اليوجا.
والمعنى الحرفى لكلمة يوجا بالهندية هو الاتحاد وإدراك
الوحدة فى الأشياء.

أنت وأنا وهو وهم شىء واحد.
هل تستطيع أن تدرك هذه الوحدة؟
علوم اليوجا تقول إنك لا تستطيع أن تدركها إلا إذا تحررت من
تقاليدك.. وأخضعت جسدك وعواطفك وغرائذك وعقلك تماما إذا
أردت أن تسمع صوت الواحد فى داخلك فلا بد من إسكات صوت
المتعدد أولا.. لا بد من إسكات صوت الجسد والنفس والغريزة
والرغبة والعقل.

وإخضاع الجسد تختص به علوم «الهاتايوجا» وهى التمرينات
الرياضية المعروفة.

وإخضاع العقل تختص به علوم «الراجايوجا».. وهى تمرينات
على التأمل والتركيز.

وإذا استطعت إسكات كل شىء فسوف تسمع من أعماق
الصمت فى داخلك صوت الواحد.

سوف تشعر بالقرابة الحميمة بينك وبين الأشياء.. سوف
يعزف فى داخلك لحن الانسجام بينك وبين العالم.. إن تدرك
التوافق العميق بين عناصرك وعناصره.. وتسودك طمأنينة
قدسية فلم يعد هناك داع للتعجل.. ما يفوتك باليمين سوف
تحصل عليه باليسار وفى الهند يسمون هذا الواحد «اتمان»..
وفى «صلاة هندية قديمة لهذا الواحد يقول الشعر السنسكريتى :
إذا ظن القاتل أنه قاتل

■ يوجا ■

والمقتول أنه قتل
فليس يدريان ما خفى من أساليبي.
حيث أكون الصدر لمن يموت والسلاح لمن يقتل
والجناح لمن يطير
وحيث أكون لمن يشك فى وجودى
كل شىء حتى الشك نفسه.
وحيث أكون أنا الواحد وأنا الأشياء.
وكأنما شعر جميع المفكرين بهذا الواحد الخفى. وحاول كل
منهم أن يعبر عنه بطريقته.. فى فلسفة شوبنهاور كان اسمه
«الإرادة». وفى فلسفة نيتشه كان اسمه «القوة» وفى فلسفة هيجل
«المطلق» وفى فلسفة ماركس «المادة» وفى فلسفة برجسون
«الطاقة الحية» وفى الأديان السماوية اسمه الله.
اتفقت جميع الأصابع التى تشير إلى أن هناك شيئاً داخل خباء
ذلك الكون يحرك خيوطه.. وكل الخلاف هو خلاف أسماء.
ولهذا تقول علوم اليوجا.. لا تحاول أن تسمى ما لا يمكن
تسميته.. تأمل.. لا تنطق بحرف.
عليك بالإصغاء إلى صوت الصمت.. ثم جاء الإسلام بأجمل
وأصدق تعريف بذلك الذى وراء الصمت.. لم يخلط الخالق
بالمخلوق كما خلطت اليوجا الهندية كل شىء فى وحدة الوجود
فجعلت من القاتل والقتيل والسكين شيئاً واحداً تضيع معه
المسئولية ويضيع الجزاء فى ضباب الشعر.. وإنما قدم القرآن
أنقى صور التوحيد وأرقى صورة لوحدة الخالق ووحدة
المخلوقات.. فتوحدنا لأنها منه.. أما هو فمتعال عليها.. سبحانه..
ليس كمثله شىء.

■ يوجبا ■

السم والترىاق

لكل شىء آفة من جنسه حتى الحديد سطا عليه المبرد
الله خلق لكل شىء آفته التى تعتدى عليه.

خلق القطن وخلق دودة القطن.

خلق النبات وخلق الجراد.

خلق الأسنان وخلق السوس.

خلق العين وخلق الرمى.

خلق الأنف وخلق الزكام.

خلق الثمرة وخلق العفن.

خلق الإنسان وخلق معه جيشا من الأعداء لاغتياله : من
بعوض، وديدان، وبلهارسيا، وميكروبات، وسل وجذام، وتيفود،
وكوليرا. وخلق الحياة وخلق الحر والبرد، والصقيع ورياح
السموم لم يرد بالدنيا أن تكون دار سلام.. وإنما دار حرب
وصراع وبلاء وشد وجذب وكر وفر.

لأنه علم بحكمته أن حياتنا الدنيوية إذا أخذت إلى الراحة
والأمن والدعة والسلام ترهلت وضعفت وانقرضت.

وعلم الفسيولوجيا يقول لك إن سم الميكروب يحفز النسيج
إلى الاحتشاد.. كما تدفع لسعة البرد الدم إلى الشرايين.

إن العدوان المستمر الذى جعلته الطبيعة شريعته فى الأرض
أراد الله لمخلوقاته تحديا مستمرا.. ليشحذ كل مخلوق وسائله
ويبدع ويبتكر ويحتشد ويخرج أحسن ما يختزن من طاقات،
ويكون دائما على أكمل الصور الممكنة.

وبدون هذا التناقض والصراع والكفاح كان مصير الحياة إلى
ضمور وتخاذل وتكاسل ثم انقراض تدريجى.. وكما خلق لنا الله
المرض خلق لنا الدواء فى عشب ينمو تحت أقدامنا.. وفى شراب

■ يوجا ■

فى الينابيع التى تتفجر حولنا فى كل مكان.. وفى العناصر
الكثيرة تحت الأرض وفوقها.. وأمدنا بالعقل الذى يبحث وينقب.
وللحكمة ذاتها ألقى الله وسط الدول العربية المتخاذلة المترهلة
بعدو شرس هو إسرائيل.. ومكن هذا الجسم الغريب ليكون حافظا
إلى اليقظة والاحتشاد.

إسرائيل هى الميكروب.. هى التحدى القائم فى الجسم العربى
ليثبت حيويته ويشحذ طاقاته ويهب من نومه الطويل وبرغم كل
ظواهر اليأس فأنا متفائل شديد الثقة بالمستقبل فالسنن الكونية
والقوانين الإلهية تعمل عملها فى الكيان العربى ومانعش فيه من
كارثة أراها على العكس مظهرا من مظاهر القانون الأزلى
لتصحيح الأشياء.. إن خلافتنا الداخلية وانقساماتنا الداخلية أشبه
بالصدید الذى يتخلف فى الجراح من جراء التهاب النسيج بالسّم
الميكروبى والأجسام المضادة التى يفرزها. وهى مرحلة يليها
تدفق الدم من النسيج المحتقن ليغسل كل شىء ثم يعقب ذلك
الالتئام والشفاء.

إن الذى يجعل من واقعنا الحالى سببا لليأس لا يفهم الدنيا ولا
يفهم التاريخ.

لقد تقاتلت الأمة الأمريكية قبل أن تتوحد فى حرب شرسة بين
شمالها وجنوبها.. وكذلك الصين.. فلم يقل أحد إنها انتهت، أو إنها
كتبت وثيقة فنائها.. بل العكس هو ما حدث.. فقد كتبت بهذا الدم
ميلادها.

وفى الحساب الأزلى للأرباح والخسائر.. وفى سجل التاريخ..
لا تضيع نقطة دم واحدة.. ولا تهدر ضحية.. وإنما لكل شىء
دوره فى صياغة النصر النهائى.
والنصر دائما للحق والخير.

ماذا وراء

بوابة الموت



أفان

المستقبل!

إن التاريخ يعلمنا درسا عظيما فى التواضع.. فمن الممكن أن ننقرض تماما ولا يبقى لجنسنا أثر.. وتتطور وتسود الحياة أجناس أخرى يخرج لها أحفاد وارثون عقلاء، وربما يكون السادة الجدد من نسل النمل أو النحل أو الصراصير.. ومن يدري.. إن تاريخ الحياة يروى لنا حكاية سلالة عظيمة هائلة الحجم والقوة اسمها الديناصورات كان كل منها يمشى كأنه جبل يتحرك، وعاشت بدل السنة مائة مليون سنة تستمتع بهذه السيادة، ثم جاء العصر الجليدى فأهلكها لأنها لم تستطع التكيف.. لم تكن عندها وسيلة لرفع حرارة دمها سوى الجلوس فى الشمس.. وحينما طمر الجليد الأرض نفقت هذه السلالة الجهنمية كالكلاب. ولم تترك أثرا لأنها لم تجد الشمس التى تتشمس فيها. ونحن إلى الآن لم نعمر على الأرض مائة مليون سنة كما عمرت الديناصورات. وإنما عمرنا فقط مع التجاوز ومع ضم أقدميتنا القردية المزعومة عشرة ملايين سنة.. وقد تضخم عقلنا وذكاؤنا وتطورت أدواتنا. فأصبحت طائرات نفائة وقنابل ذرية. فإذا لم نتقدم عاطفيا وإنسانيا بقدر ما تقدمنا عقليا.. إذا لم نستطع أن نكون محبين مشفقين رحماء بقدر ما نحن أقوياء، فسنهلك أنفسنا لا محالة.. ستهلكنا قوتنا نفسها فى حرب ذرية لا رحمة فيها.. ولن تأسى لنا الحياة.. فالحياة علمتنا أنها لا تعرف

■ آفاق المستقبل ■

الحزن ولا الندم وأن من يموت وينقرض من أبنائها عندها مليون مليون من يخلفه. وعندها من الحيل ما يفوق الأساطير.

وحينما نفنى تحت وابل الدمار الذرى سوف تهيل الحياة التراب فوقنا، ثم يمضى ركبها العظيم يتطور فى اتجاه آخر ليلقى إلى الأبدية بمحصول جديد من الخلائق، ولسان حالها يقول فلنجرب مرة أخرى.. إننا لسنا فى عجلة فأمامنا زمن لا نهائى نجرب فيه أمامنا الأبد كله لقد تقدمنا علميا بدرجة ملأتنا بالغرور، فها نحن نسافر إلى القمر ونرسل السفن الفضائية إلى المريخ ونصور جو الزهرة ولكننا لو تأملنا هذا التقدم العلمى لوجدناه يبعث على الحزن أكثر مما يبعث على الفرح.. إن الإنسان الذى خطا ربع مليون ميل فى الفضاء إلى القمر عجز عن خطوة طولها بضعة أمتار ليعاون زملاء له يموتون بالجوع فى الهند وآخرين يسحقهم الظلم فى القدس وفيتنام . وأمريكا تلتقى بروسيا على سطح القمر وتعجز عن أن تلتقى بها فى مجلس الأمن..

لقد اقتربت المسافات بين الكواكب والنجوم وازدادت المسافات بين الناس على الأرض بعدا !

ها نحن نتباعد عن بعضنا أكثر فأكثر كل يوم وكأننا شظايا تتناثر فى الفضاء ويعجز الواحد منا أن يسمع الآخر أو يوصل إليه رأيا أو يلقي له أذنا أو يفتح له قلبا. لقد بدأ الإنسان يسيطر على الكون، ولكنه مازال عاجزا عن السيطرة على نفسه! وبقدر ما ازدادت قوة ذراعيه بقدر ما نضبت الرحمة من قلبه.

إن إنسان القرن العشرين شمشون الجسد قدم على الأرض وقدم على القمر ولكنه قزم الروح مراهق العقل يمكن أن يدمر نفسه فى غرور دون أن يدري.

■ آفاق المستقبل ■

إن الخروج إلى الفضاء الذى يبدو فى الظاهر معجزة علمية هو فى الحقيقة عملية هروب نفسية من عجز الإنسان الروحى ومشكلاته المتفاقمة على الأرض وهى عملية هروب أنيقة ولا شك.. وهى تثبت أن الإنسان مخادع ومراوغ عبقرى يعرف كيف يغطى عجزه بأثواب مادية ساطعة البريق.

وما نراه الآن حولنا يدل على أن نمو القوى المادية أسهل بكثير من نمو المحبة فى القلوب، والارتفاع إلى القمر أسهل بكثير من ارتفاع الإنسان بأخلاقه ولو درجة واحدة.. إننا نرى قوة المادة وعجزها.

إن قوى الاقتصاد لا تستطيع أن تصنع لنا الإنسان الشريف النبيل مهما تحالفت بدولاراتها.. وإنما الأخلاق تنمو بالمجاهدة الشاقة بين القوى الروحية العميقة فى داخل الإنسان وبصراعه الدامى مع حوافز الحيوان ونداء المعدة وعواء الجنس وإغراء القوة، وهى أمور شديدة الصعوبة وتحتاج إلى درجات عالية من الإخلاص والصدق مع النفس والمواجهة اليومية والإلتحام مع عوامل الضعف وإلحاح اللذة والمكاسب السهلة فى كل لحظة.. وهى حرب شاقة تبدو إلى جوارها عملية الصعود إلى القمر.. عملية غاية فى السهولة لأن عملية الصعود إلى القمر تعتمد على النواميس الطبيعية.. أمثال الجاذبية.. وقوى الدفع الصاروخى، وطاقة احتراق الغازات وهى جميعها سنن وقوانين طبيعية وضعها الله فى ضبط وإحكام، وهى لا تخطئ أبداً لأن الله لا يخطئ فى حساباته.. أما علاقات الناس والسياسات الخارجية للدول فتعتمد على المصالح والأهواء والأطماع، وهى صناعة الإنسان التالفة ونتاج نفسه المعطوبة.

والهروب من تلك النفس وعطبها إلى فضاء الكون حيث يكون الاعتماد على قوانين الله الدقيقة، هو الأمر المأمون والسهل وهو أسهل آلاف المرات من عكوف الإنسان على نفسه ليصلحها ويقومها.. ولكنه فى ذات الوقت هروب من رسالة الإنسان الأولى على الأرض فواجب الإنسان الأول على هذه الأرض.. أن يعرف نفسه ويقومها بالفكر وبالدين وبالعلم معا يصنع الإنسان نفسه.. أما بالعلم المادى وحده وبدون إيمان وبدون خلق قلن يصنع من نفسه إلا جبارا ومسخا عملاقا مشوها يتنقل بين الكواكب ويخترع أسلحة بشعة رهيبة للقتل الجماعى يدمر بها الكل ثم يدمر بها نفسه دون أن يدري.

وقد أختارت مدنية القرن العشرين هذا الطريق السهل للتطور طريق الذرة والطاقة والكهرباء والحديد والصلب والديناميت ونبذت الباقي معتذرة بأنه غيبىات، مع أن العلم المادى نفسه غارق فى الغيبىات. فما هى الكهرباء؟ وما هو الإلكترون؟ وما هى الطاقة؟ كلها غيبىات، نحن نستخدم الكهرباء ولا نعرف كنهها ونصنع الأجهزة الإلكترونية ولا نعرف ما هو الإلكترون، ونطلق الموجة اللاسلكية ولا نعرف ما هى الموجة اللاسلكية ولا ما شكلها.. العلم المادى لا يعرف ما هية أى شىء إنه فقط يعرف العلاقات والكميات والقوانين، ولكنه يجهل ما هية أى شىء.. إن حكاية الغيبىات هى العذر الكاذب الجاهز.

أما الحقيقة.. فهى أن الإنسان قد آثر الطريق السهل حيث لا يحتاج إلى مواجهة نفسه والإلتحام معها فى جهاد عظيم مرير فى سبيل إعادة خلقها.

آثر أن يلقي بنفسه فى البيئة المادية محاولا تغييرها بدلا من أن يبدأ من نقطة الأساس.

■ آفاق المستقبل ■

وهو يطمئن نفسه بأنه إذا تغيرت البيئة حوله فسوف تتغير نفسه وتسمو من تلقاء ذاتها.. إنها تجربة كبرى سوف يجاوب عليها التاريخ وسوف يكذبها بل لعله قد بدأ يجاوب بالفعل.. فها نحن نرى فى الناحية المادية آفاق المستقبل تبدو كلها وردية مشرقة. فهاهو الإنسان قد وصل إلى القمر.. أما فى الناحية الإنسانية فإن آفاق المستقبل تبدو محفوفة بالظلال والمخاطر والأشواك.

لقد بدأ نهار العلم وأخشى أن أقول.. بدأ ليل الإنسانية ومخاضها القاسى المرعب إن مصيرنا معلق بشيء اسمه.. عقلنا.. وما سوف يشير به علينا.. وما سوف يفعله ليتكيف مع وضع القوة الجديدة الذى وضعنا أنفسنا فيه وإذا أردنا أن نعرف ما سوف تنتهى إليه خيوط المأساة التى نغزلها. فلا بد أن نعرف مزيدا عن ذلك اللغز الذى اسمه العقل.

ماذا وراء

بوابة الموت



مواجهة..

كل يوم!

عمر الإنسان على الأرض أكثر من مليون سنة..
ربما عشرة ملايين من السنين.. وأثاره ومخلفاته فى
الكهوف تدل على أنه اكتشف النار وطهى طعامه
وأشعل سراجيه منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة.
وكانت النار أول مفتاح عرفه من مفاتيح الطاقة.
اكتشفها مصادفة من انقذاح الشرر حينما كان يضرب الحصى
ببعضه البعض ثم مرت أكثر من ٢٠ ألف سنة أخرى، ثم عرف
الكتابة بالقلم، والتقويم الشمسى وتعاقب الفصول ورصد النجوم
والزراعة.. وبدأ الاستقرار وبدأت الحضارة.
ثم ألوف أخرى من السنين واكتشف صناعة الورق والبوصلة
والملاحه ثم اخترع العجلة والعربة الحربية والبارود.. ثم ألوف
أخرى من السنين واكتشف البترول والبخار ثم بضع مئات من
السنين واكتشف الكهرباء.
ثم بضع عشرات من السنين واكتشف الذرة والطاقة الذرية
والإلكترون.. واللاسلكى.. والراديو.
ثم أسرع عجلة التطور وأصبح التقدم العلمى يقفز من سنة
لأخرى.. الليزر.. التليفزيون.. الكومبيوتر.. الهندسة الوراثية..
السفر إلى القمر والمريخ والزهرة والمشتري وزحل وأورانوس..
ثم الخروج من المجموعة الشمسية إلى أعماق الكون.

■ مفاجأة.. كل يوم 1 ■

لوحة مفاتيح الطاقة أصبحت تحتوى على أكثر من مفتاح وأكثر من بديل.
النار.. والفحم.. والبتترول.. والبخار.. والكهرباء.. والذرة..
والليزر.. والميكرويف.. والطاقة الشمسية.. وحرارة باطن الأرض..
وطاقة أمواج البحر.. والطاقة الكيميائية..
ثم أصبح كل شهر يحمل مفاجأة..
ثم كل أسبوع
ثم كل يوم..
وتعددت مجالات الاختراع..
واتسعت آفاق الاكتشاف..
وتسارعت خطوات العلم.. وتحولت إلى إيقاع لاهث متهول
وتطلعت العقول إلى أكبر طاقة.. الطاقة التى تمسك النجوم فى
أفلاكها وتدفع بالكواكب فى مداراتها فى تسارع مذهل..
إن أى قمر صناعى يلقي به إلى الفضاء يدور حول الأرض
بسرعة أربعين ألفا إلى ستين ألف ميل فى الساعة بدون أى نوع
من الوقود وبدون أى نوع من المحركات وبدون أى دفع نفاث أو
غير نفاث..
الطاقة التى تدفعه هى طاقة الجذب الكونى بين الأجسام
(GRAVITY FIELD ENERGY) ثلاث دول عاكفة الآن على تسخير
هذه الطاقة.. هى أمريكا وروسيا وإسرائيل..
أقوى وأرخص طاقة فى الكون.. من يسبق إلى امتلاكها..
سوف تكون له السيادة فى هذا العصر..
هذه الطاقة هى التى تحرك الأطباق الطائرة.. إذا صدق أنها
حقيقة وأنها تأتى إلينا من أطراف بعيدة مسكونة من الكون. ومن

■ مفاجأة.. كل يوم ■

يملكها سوف يستطيع الفرار من قبضة الأرض ليتجول حراً في أرجاء الكون بسرعات لا تخطر على بال أحد.. وبدون وقود.
أما الجبهة الثانية من جبهات العلم التي سوف تحمل أكبر المفاجآت فهي الهندسة الوراثية.

وإذا قدر لعقل إن يفض شفرة الجينات ويكشف سر تواليفها فسيكون بإمكانه استنباط مخلوقات جديدة في عالم النبات والحيوان والإنسان، وسوف يتحكم في السلالات وفي أشكالها وأوصافها.

وهو طموح بعيد وغير محتمل.. لأن الجينات الموجودة في خلية واحدة لكائن واحد تحتاج لعشرات السنين لحصرها وكشف أسرارها وعلاقاتها بافتراض إتاحة كل إمكانيات السوبر كومبيوتر والحاسبات الإلكترونية الموجودة.

وما يحدث الآن هو مجرد التجريب والعبث واللعب والتشريح العشوائي لهذه الجينات.

ومع ذلك فقد استطعنا من خلال هذا التجريب تسخير الميكروبات الدنيئة لصناعة الأنسولين.. واستطعنا تخليق سلالات جديدة من النبات والثمار والحبوب.. تقاوم الأمراض والجفاف وتنمو في غير بيئاتها وتتحمل الملوحة العالية.. وهناك الجديد كل يوم في الطريق.. وهذا النجاح أطلق غرور العلماء.. وآثار خيالهم.
وهم يحاولون الآن تخليق العبقورية في أنبوبة اختبار.. وصناعة بيتهوفن من بويضة مخصبة بتلقيح صناعي.. وتركيب أينشتاين تحت الميكروسكوب.

ولن يخرج من الأنبوبة أينشتاين ولكن فرنكشتاين.
ولن يخرج من البويضة المخصبة بيتهوفن وإنما المسيح الدجال.

■ مضاجاة.. كل يوم ! ■

ومن يدري ربما خرجت سلالة إبليسية.. أو مخلوقات أسوأ من
يأجوج ومأجوج.. أو مسوخ ومردة لا يعلم بها إلا الله.
ونجاح العلماء فى تعديل سلالة خلية بكتيرية أو ثمرة بسلة..
لا يعنى تخليق شكسبير فى أنبوبة اختبار.. فبين خلية البكتيريا
وخلية شكسبير ثلاثة آلاف مليون سنة فى سلم التطور.. وهى
مسافة زمنية لا يمكن اختصارها إلى ثلاث دقائق !
ولكن العلم لا يعرف مستحيلا.

والعلماء فى عصرنا المادى لا يعرفون إلها ولا حدودا أخلاقية
للبحث والتجريب.. ويرون فى أنفسهم أنصاف ألهة.. والسباق
الأنانى بين الدول قد أصاب الكل بالدوار.. وكل شىء أصبح
جائزا وممكنا ومباحا.

وموازيا لتلك الرحلة السريعة الإيقاع فى عالم الآفاق.. هناك
رحلة أخرى أخطر وأعجب فى داخل النفس البشرية يقوم بها
علماء من نوع آخر هم علماء الباراسيكولوجى.
ومنذ أن اكتشف الطبيب النمساوى فرانز أنطوان مسمر
التنويم المغنطيسى منذ مائتين وأربعين عاما.. وهناك جيل جديد
من علماء الباراسيكولوجى عاكفون على البحث والتجريب فى
أعماق النفس وقواها الغامضة.

ظواهر نفسية مثل.. الحسد والتخاطر والجلاء البصرى
والجلاء السمعى وأحلام التنبؤ واستشعار الخطر والقدرة على
هزيمة المرض بالإرادة.. كل تلك الظواهر وغيرها كانت محل
دراسة وتجربة وبحوث.

وحاليا هناك سباق بين مخابرات روسيا ومخابرات أمريكا
على تجارب القتل النفسى عن بعد عن طريق التركيز وإرسال

■ مفاجأة.. كل يوم! ■

شحن نفسية شريرة عدوانية للضحية المطلوب إيذاؤها.
وهو إحياء للسحر الأسود المعروف فى أفريقيا باسم الفودو.
هذه الرصاصة النفسية.
أو القنبلة العقلية.

هى آخر ما يجرى فى الخفاء من أسرار البحوث النفسية. وهى
علوم لن تكون لها ثمرة إلا الشر المطلق. ولن تنجب إلا شياطين
وسحرة.. ومردة جدد يقتلون بعضهم بعضا بأسلحة غير
منظورة.

وما تفعله العين الحاسدة تلقائيا هو نوع من هذه الشرور أما
صناعة الحسد فى المعمل وتربية الإرادة الشريرة وترويضها
واستخدامها فهو شر أسوأ.

وإن أفلح هؤلاء العلماء فى ترويض تلك المواهب المرذولة
واستخدامها.. فستكون البداية لعصر جديد من الجرائم الخفية
والكاملة التى لا يمكن لأى شرطة ضبطها.. وبداية لسلالة بشرية
أشبه بسلالة الجن الأبالسة تتخصص فى الشر والأذى والجريمة
الخالصة.

ولا أحسب أن الله يفتح لهم فى هذا الباب إلا إذا كانت القيامة
على الأبواب.

والى جوار هؤلاء العلماء، هناك علماء آخرون أفضل يبحثون
فى مسائل الشفاء بالإرادة وهزيمة الأمراض المستعصية
كالسرطان بإيقاظ قوى الحياة فى النفس عن طريق الابتهاال
والعبادة والدعاء.

والبعض يستخدم علوم اليوجا والثيو صوفى والتأمل
والاسترخاء والتركيز وجمع الهمة.

■ مفاجأة.. كل يوم 1 ■

والمستقبل يحمل جنين كل هذه الإمكانيات بخيرها وشرها.
والغد يحمل لنا كل تلك الأهوال.. وكل تلك البشائر ولا نعلم
أيها سوف يسبق الآخر.
ولكنها جميعا فى الطريق.
وفى السنوات العشر القادمة سوف تشهد البشرية ما لم
تشهده فى كل تاريخها القديم والحديث.
وسوف يحمل لنا التلكس أخبار الاختراعات والكشوف كل
ساعة زمان لا نعلم من سيسبق.. أخبار السياسة والحروب، أم
أخبار العلوم والكشوف؟. وأى علوم ستسبق.. علوم الخير أم
علوم الشر؟..!
وأظن أن الله سيعاملنا بنياتنا وقلوبنا.
وحسب ما نضمّر سنكون.
ولن يظلمنا ربنا وإنما كالعادة نحن الذين سوف نظلم أنفسنا
والعلم سلاح محايد.. إنه كالسكين يمكن أن تقشر بها تفاحة
لتقديمها لصاحبك.. أو تقطع بها رقبتك.
والأمر يتوقف على نصيبك من الحكمة والأخلاق والدين وأدعو
الله.. أن تتغلب الحكمة.

ماذا وراء

بوابة الموت



قائمة

القضايا

منذ ثلاثمائة مليون سنة.. قبل أن يجيء إلى
الدنيا شيء اسمه إنسان.. والأرض مازالت على
بكراتها غابة لم يشقها محراث.. ولد للحياة حفيد
جديد رقيق الجسم اسمه.. الحشرة.

وكان مقدرًا لهذا الحفيد أن تكون سلالة المباركة
أكثر مصنفات الحيوانات عددا وعدة.. وأن يكون أذكى من
الديناصور العظيم وأوسع حيلة من ثعلب الجبل، وأقدر على
مواجهة صعوبات الحياة من ضواري الغاب.
وحينما زحف الثلج وغطى الأرض في العصر الجليدي وحول
المحيطات.. إلى جماد.. ماتت الديناصورات العظيمة وانقرضت
الزاحفات واحدة بعد أخرى.. وبقيت الحشرة تقاوم مكومة في
الثلج وقد أغمضت عينيها في بيات شتوى طويل لا تأكل
ولا تتنفس.

وأشرقت الشمس ذات يوم لتدفئ الدنيا.
وذاب الجليد.

وخرجت الحشرات بالآلوف والملايين من خنادقها.. وكأنها
يأجوج ومأجوج.. لتغزو الماء واليابسة والصحارى الجرد
والهواء.. بعضها يأكل بعضا.. وبعضها يتطفل على الحياة الأخرى
من نبات وحيوان.. وبعضها يتغذى على الطين وبعضها يأكل
الروث.. وبعضها يعيش على ملح المستنقعات وبعضها يمتص
الدم.

■ قاذبة النابل ■

وإنها لقادرة دائما على التكيف على أى طعام موجود.
وبيننا اليوم حشرات عجيبة تأكل أنواعا عجيبية من الأطعمة
مثل ذبابة البترول التى تعيش فى أحواض البترول.. وذبابة
التحنيط التى تعيش على أملاح تحنيط الجثث.. وخنفساء الدائرة
الكهربائية التى تعيش على أسلاك الرصاص.. وجنادب الينابيع
الكبريتية الحارة.

والجعارين التى تأكل العظام.

وكل حشرة تتحرك مثل عربة مصفحة تحيط بجسمها الرقيق
صفائح من مادة كالصلب اسمها الكيتين تقاوم فعل جميع
المهلكات الكيميائية .. وهى تسليح نفسها بحراب وخناجر
وأشواك.. وبعضها يسليح نفسه بحويصلة من السم متصلة بإبرة
حامية «الزبان» يطعن بها أى عدو يقترب منه فيشله ثم يلتهمه..
وبعضها يثقلون بلون البيئة كفرس النبی الأخضر بلون الخضرة
والجرادة الصفراء بلون الرمال.. وبعضها يلصق على نفسه أوراق
الشجر الميتة كما يفعل جندي الصاعقة وهو يزحف.. وبعضها
يطلق غازات كريهة ليطرده أعداءه.. وبعضها يحفر لنفسه خنادق
ليختبئ.. وبعضها يبني لنفسه قلاعا حصينة من الطين..
وبعضها يحاكي فى هيئته الزنابير اللاسعة بدون أن يكون له
زبان ليضحك على مطارديه.

والحشرات تتحمل درجات البرودة القصوى تحت الصفر
فتتجمد ولا تموت كما تتحمل الحرارة العليا كما تعيش تحت
الضغط الجوى المنخفض وتحت ضغوط البحر العالية تحت
الماء.. وفى الفراغ.. وفى غياب الأكسجين.. وفى وجود الغازات
السامة.

وكل حشرة تعيش فى أكثر من بيئة فالبعوضة فى مرحلة
الدودة والشرنقة تعيش فى المستنقعات، وفى مرحلة الحشرة

■ قاذفة القنابل ■

الكاملة تعيش فى الحقائق وتتغذى ذكورها على رحيق الزهر وإناثها على دم الإنسان.

والحشرات تسمع وتحس وتشم وترى أحيانا عن طريق قرون الاستشعار أو الوبر الخفيف على جسمها، وبعضها له طبلة أذن.. وبعضها له عيون مركبة.

والمعجزة التى استطاعت بها الحشرات أن تهزم الموت والفناء وضراوة الظروف المهلكة.. هى معجزة النسل.

فحشرة دودة القطن تبيض فى اللبنة الواحدة ٤٠٠ بيضة تفقس ٢٨٠ أنثى و ٢٠٠ ذكر وكل أنثى تعود فتبيض ٤٠٠ بيضة وبعملية حسابية سوف نكتشف أن الحشرة تتضاعف ثمانين ألف حشرة بهذه الطريقة ثم ١٦ مليوناً. كل هذا من حشرة واحدة وفى خلال زمن يعد بالأيام.

وذبابة الدروسوفيلا مثلاً تنتج ٢٥ جيلاً فى السنة ويبدأ الجيل الأول بمائة بيضة وبعملية حسابية بسيطة يتضح أن العدد النهائى فى الجيل الخامس والعشرين يبلغ من العظم بحيث لو تراصت ذباباته الواحدة إلى جوار الأخرى يتكون جسر يوصل من الأرض للشمس.

وأعجب ما فى الحشرة ما يسمى بالمعرفة الغريزية.. فحشرة أبى دقيق تختار أوراق الكرنب لتبيض عليها مع أنها لا تتغذى على الكرنب ولا تحتاج له وإنما تقودها إلى ذلك معرفة غريزية باطنة.. فالبيض سوف يفقس وسوف تخرج ديدان صغيرة لا تأكل سوى الكرنب فيجب أن تبيض حشرة أبى دقيق على ورق الكرنب ليجد الصغار ما يأكلونه ومع ذلك فحشرة أبى دقيق لا تعرف هذه المسألة معرفة عقلية واعية.

وحتى لو رأت الصغار التى فقس عنها بيضها فهى لن تعرفها.. ولن تعرف أن هذه الديدان أبناؤها.

■ قاذقة القنابل ■

إن كل العملية تتم بدون وعى وبإملاء من قوة مجهولة اسمها الغريزة، وزنبور الطين يصطاد الدودة ثم يبيض عليها بيضة واحدة ثم يضعها فى العش ويمضى باحثاً عن حصاه حتى إذا وجدها حملها بين ذراعيه وأغلق باب العش.

وتفقس البيضة لتجد اليرقة الصغيرة طعامها جاهزاً بين يديها. كيف أدرك الزنبور هذه الحاجة المسبقة فاحتاط لها. والبعوضة التى تضع بيضها على سطح الماء فتزود كل بيضة بكيسين من الهواء تطفو بهما على السطح.. هل تعرف قوانين ارشميدس؟

والحشرة التى يسمونها فى علم الحشرات «قاذقة القنابل» والتى تتمخطر أمام الحيوانات المفترسة دون خوف حتى إذا فتح أحدها فمه ليتلهمها ضغطت على كيس فى بطنها فامتزجت فى لحظة إفرازات ثلاث غدد تحتوى على مادة الهيدروكينون وفوق أكسيد الهيدروجين وأنزيم خاص، ويؤدى اختلاط الثلاثة إلى تفاعل شديد وخروج غاز لاسع كريحه الرائحة فيفر الحيوان المفترس رعباً.

هل أخذت هذه الحشرة دبلوم الكيمياء من كامبريدج. والحشرات التى تنصب الفخاخ من خيوط الحرير. والحباحب التى تضىء بالليل لتجذب البعوض ثم تأكله.. وحشرات الماء التى تسبح فى الماء بأذرع كالمجاديف وتطير فى الهواء بأذرع مجنحة والحشرات التى تغنى لتنادى على ذكورها. لا شك أن هناك عقلاً كلياً خلق مخلوقاته وخطط لها وهو يعلم من الغيب ما لا تعلم.

إن الحديث ليطول ويحلو.
والموضوع يزداد غرابة كلما أوغلنا فيه.

ماذا وراء

بوابة الموت



الفجر

الربيع

لم يحدث فى التاريخ أن جاء عصر يمثل هذه الوفرة والغنى والترف المادى والأدوات التكنولوجية التى تسهل الحياة على المواطن.. وقد رأينا أمهاتنا فى الماضى القريب يغسلن ويكنسن ويطبخن ويخبزن ويعجن ويرضعن أطفالهن.. واليوم الغسالة الأتوماتيكية والمكنسة الكهربائية والوجبات الجاهزة والمخبز الآلى والألبان الصناعية تؤدى عن المرأة كل هذه الوظائف.. وبضغطة على زر يستحضر المشاهد فى لحظة فرقا استعراضية من كل أنحاء العالم ترقص وتغنى له.. وهو يستطيع أن يصل إلى أقصى أطراف المعمورة فى ساعات بالطيران النفث.. وهو يستطيع أن ينزل إلى أعماق البحر وأن يرتاد الفضاء، وهو يستطيع أن يوظف العلم لتخضير الصحارى ولزراعة الأجنة فى الأنابيب ونقل قلوب الموتى إلى صدور الأحياء وعلاج العقم وهزيمة السرطان، وهو يستطيع أن يستحدث محاصيل جديدة ويضاعف من المحاصيل القديمة.. والانتاج الزراعى وصل أحيانا إلى درجة من الوفرة أدت بالمنتجين إلى إلقاءه فى البحر حتى لا ينخفض سعره.

والطاقة الذرية والطاقة الشمسية والإلكترونيات والليزر والأمواج فوق الصوتية فتحت مغاليق أسرارها للإنسان.. والفلاح المعدم الأجير وصلت يوميته فى مصر إلى عشرة جنيهات

■ الفجر القريب ■

وأصبح عملة نادرة عزيزة، ومثله النجار والحداد والنقاش والسباك وهى حرف سهلة لا تحتاج إلى أكثر من شهور لإتقانها.. وعائدات النفط الوفيرة من العملة الصعبة انتقلت بدول الخليج وإيران بقفزات حضارية لاهثة لتجعلها فى مصاف الدول الأوروبية.

وكان المفروض أن تؤدى هذه الوفرة والغنى والسهولة بالإنسان إلى السعادة.. ولكن ما حدث كان العكس.. فقد ازداد الإنسان بهذه الوفرة المادية تعاسة وارتفعت معدلات الجنون والانتحار والأمراض النفسية فى العالم كله.. وازدادت الأسر تفككا وازداد الناس بعدا عن بعضهم البعض وانعدم التواصل بين الزوج وزوجته والأخ وأخيه والأب وابنه.. وأصبح الناس كالجزر المتائه الشاردة لا يكاد يجمعها رابط.

وشهدنا عشرات الحروب وسقط آلاف القتلى واشتعلت الحرائق فى كل مكان وأصبح الإرهاب والقتل العشوائى والعبوات الناسفة والسيارات الملقومة والقصف الأعمى ظواهر عادية. وانقلبت النعمة التى بين أيدينا إلى نقمة.. وببدقة أكثر نحن الذين قلبنا هذه النعمة إلى نقمة فنحن ننفق أكثر من ستمائة ألف مليون دولار سنويا على السلاح وعلى أدوات القتل.. ونحن لوثنا الهواء والبحار والأنهار والزروع بالفضلات والعوادم والمبيدات ونحن رصدنا الأموال فى كل مكان لتطوير أسلحة الموت والدمار. ونحن فى كل مكان نجتمع ولا نتفق ونتصافح ويطوى كل واحد قلبه على ضغينة وقد أعلن كل واحد منا من نفسه دولة مستقلة ذات سيادة وأصبحنا نتصادم كل يوم بعدد الستة آلاف مليون فرد من ساكنى هذا الكوكب.

إن المادة والوفرة لم تقربنا بل فجرت فينا حب المصلحة وحب الاكتناز والرغبة فى الجمع وفجرت الـ «أنا الوضع» النفس الأماره الحيوانية الشهوانية التى ترغب بلا نهاية. وأصبح كل منا مجرد جوع لا يشبع.

وتحول هذا الـ «أنا الوضع» إلى جدار غليظ صفيق يفرقنا.. ولم يعد كل منا يسمع إلا نفسه.. وتحول الحوار إلى كلام من طرف واحد لأن الآخر لا يسمع.

كيف نعلو على هذا الـ «أنا» ونتجاوزها إلى المرتقى الأعلى من نفوسنا.

هذه هى المشكلة؟

كيف نتخطى المصلحة الشخصية إلى القيم الأعلى والمثل الأشمل.

إن التدين الشكلى.. والإيمان باللسان.. والخلق المظهرى ليس حلا وإنما المطلوب هو إيمان تذوق وتشرب ومبادئ تمتزج بالشغاف واقتناع يصل إلى مركز الشعور واعتناق يصل إلى نخاع العظم.

المطلوب تدين يصل إلى ذروة الأزمة الوجودية التى تغير صاحبها وتصهره لتخرج به من حيوانيته إلى إنسانيته.

ويبدو أن العالم كله صائر إلى هذه الأزمة الوجودية ومقبل على هذه المخاض المؤلم.. إن المرحلة الروحانية القادمة لن تولد إلا من خلال الفشل المادى.. والإسلام الحقيقى لن يولد من مجرد شكليات صورية مثل اطلاق اللحية أو تقصير الثوب وإنما من محنة عالمية وهائلة تصهر الناس فى أتون العذاب حتى تتطهر معادنهم وتذوب غشاواتهم وتتفتح بصائرهم.

وما نحن فيه الآن من ضنك واحباط وتعب هو الليل المظلم المدلهم الذى يسبق الفجر.

وربما اشتد الظلام فى المستقبل القريب وربما ادلهمت الكوارث أكثر وأكثر وربما فاتنا شهود الفجر وقصرت أعمارنا عن بلوغه. ولكنه قادم.. وحسب كل منا نصيبا أن يسهر على معركته الخاصة الفاصلة ليتعجل ميلاد الفجر فى نفسه هو أولا من خلال محنته هو وعذابه هو ومن خلال أزمته الوجودية الخاصة.. ففى داخل كل منا معركة مع نفسه الأمارة ومع الـ «أنا الوضيع» فى داخله.. ومع شهواته ومصالحه.. عليه أن ينتصر فيها أولا.. إذا أراد لمسيرة النور أن تهزم جحافل الظلام التى تجثم على العالم من جميع أقطاره.

عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم.
على كل إنسان أن يعلن الثورة على نفسه أولا وأن يعتقل شياطينه وأن يغير سلوكه وأن يجعل من نفسه مثالا وقدوة قبل أن يطالب الآخرين بأن يبدلوا من سلوكهم.
وقد يطول المشوار ولكن سلامة الوصول أكيدة.

أما التغيير التعسفى عن طريق قلب نظم الحكم وعن طريق العنف القهرى فقد يبدو لأول وهلة أنه يقصر المشوار ويختصر التاريخ ولكن ما يحدث هو العكس.. إنه يطيل أمد المحنة ويعطل التاريخ ويستبدل الظلم القديم بظلم جديد ولا يغير نفوسا وإنما يغير كراسى وبطاقات.

إن نفوسنا هى المعازل الأولى للثورة والتغيير وترويضها وقيادتها هى المنطلق لقيادة أى شىء وليست شقشقة الشعارات وطنطنة الهتافات فليعكف كل منا على نفسه يروضها ويرببها

■ الفجر القريب ■

ويزكيها ويكافحها فذلك هو الجهاد الأكبر الذى صنع الفرد المؤمن.. ومن الفرد تنمو العائلة والمجتمع والأمة والتاريخ ولا يأس من طول الطريق.. فإنما أول الغيث قطرة ومعظم النار تبدأ من مجرد شرارة.. وذلك هو المراد حينما يقول لنا القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقُومَ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾. فذلك إذن هو منطلق التغيير.

أن أغير ما بنفسى.

وأن تغير ما بنفسك.

وأن تشرق شمسنا أولا من داخلنا.

وذلك كلام قديم جدا.. بدأ من أيام سقراط!!

ماذا وراء

بوابة الموت



نهاية

الظلم

المشهد فى أوروبا الآن لما يحدث فى كوسوفو
هو للأسف تكرار ممل لما حدث فى البوسنة
والهرسك ولما حدث فى الشيشان ولما حدث فى
بورما ولما حدث فى القلبين وهو تكرار بطيء
لما حدث فى أسبانيا بعد سقوط الدولة الإسلامية
ومسلسل المذابح للقلول الهاربة الناجين بأنفسهم من الصلب
والحرق .

وحلف الأطلنطى لا يملك إلا أن يغطى حمرة الخجل التى كست
وجهه بتهديدات شفوية للسفاح ميلوسوفيتش يعقبها بالمهلة تلو
المهلة حتى يشبع من التمثيل بضحيته وحتى يسلم آخر طفل إلى
غول البرد والجوع عند حافة الجبل .
والأطفال اللقطاء يباعون فى أوروبا لعصابات دعارة الأطفال
وللتنصير ولأهداف أخرى .

وتكريس الظلم هو الحقيقة الوحيدة العارية التى تصفع الوجه
الإنسانى لهذا العصر الذى يتحدث عن تطهير البيئة وإنقاذ
الحيوانات من الإنقراض وثقب الأوزون وينسى أن النوع
الإنسانى نفسه أصبح مهددا بالانقراض .. وأن الرحمة أصبحت
حُفْرية بائدة .. وأن الدين عند ادعياء القديين هو تصنيع قنبلة
لنسف الطرف الآخر .. أو القتل غيايبيا كما يحدث فى الجزائر .
وأسال متعجبا ..

■ نهاية الظلم ■

لماذا تعجبون يا إخواني إذا نبج الكلب أو عض الذئب أو نهشت الضباع الرمم .. ألم يخلق الله لذاك نابا وأنبت لذاك خرسا وصنع لذاك طاحونة تطحن الرمم .. ألم يجعل في هذا الغذاء طعاما وقوتا وصحة لهذه الوحوش .

إنى لأجد المعنى في الغابة .. ولا أجده في المدينة التي نسكنها.

إنى أجد السلام والأمن في الغابة فلن يتفجر لغم تحت قدمي ولن تسقط على رأسي قنبلة عنقودية .

وعجبت للرئيس ياسر عرفات يمد يده ليصافح شارون فلا يحرك هذا ساكنا ولا يلتفت إليه .. كيف وجد ياسر عرفات في نفسه الرغبة ليصافحه .. وكيف تتحرك الأيدي للسلام بدون سلام .. ولم أشهد بطول المفاوضات مع اليهود سلاما .. وما شهدت إلا كبرا وعنادا وصلفا واستكبارا وتصلبا ونفورا .

السلام لين وانقياد وسلاسة .. ورغم الاتفاقات التي وقعت .. فإننى لم أر للسلام ظلا ولم أشهد له ريحا فى وائ بلانتیشن . إنما هى تمثيلية سوف يعقبها اشتباك فى أول منعطف طريق . نحن فى حاجة إلى إطلالة بطل .. إلى روح البطولة الجامعة . نحن فى حاجة إلى صلاح الدين .

إنهم يطاردون الأكراد فى كل مكان خوفا من أن يبعث فيهم صلاح الدين من جديد .

إن معجزة صلاح الدين كانت فى روحه الجامعة التى جمعت الأشلاء العربية على إرادة واحدة .. إنهم استأنسوا الطالبانى والبرزانى وبقي أوجلان .. ولن يغمض لهم جفن وهو حى يرزق .. ولا أظن إلا أنهم قاتلوه .

■ نهاية الظلم ■

ولكن الله هو الذى يخلق الأبطال وهو الذى يحفظهم حتى يؤدوا رسالاتهم .

ولا يملك أوجلان أن يجعل من نفسه بطلا .
إنما البطل رهن الغيب لا يعلم به إلا عالم الغيب .
ولن تظل أمريكا مظلة أبدية تحتوى بها إسرائيل .
وأي ربح أو زلزال أو إعصار يمكن أن يجعل من أمريكا أثرا
بعد عين .

وقد ذكر الله فى قرآنه : ﴿ عادا الأولى ﴾ التى بغت وطفغت
واستأسدت .. وكانت تقول .. من أشد منا قوة .. وكانت عاصمتها
لؤلؤة العواصم .. وسماها القرآن : ﴿ إرم ذات العماد التى لم
يخلق مثلها فى البلاد ﴾ ويبدو من اسمها أنها كانت ذات أبهاء
وأعمدة لا مثيل لها ولا نظير .. فلما قضى الله بزوالها زالت
وامحت ولم تترك أثرا يدل عليها .

تلك كانت عادا الأولى .
وأمريكا هى الثانية ..
وهذا مصير الجبارين والعظام المتألهين بعظمتهم على الناس .
ولن تجد لسنة الله تأويلا ولن تجد لسنة الله تبديلا .
وللذين يتساءلون .. كيف .. وهل ممكن .. وهل يعقل .. وهل ..
وهل .

نقول لهم .. وأين روسيا صاحبة أول سفينة فضاء .. وصاحبة
أكبر ترسانة للقنابل النووية .

روسيا التى قسمت العالم إلى يمين ويسار وتقدمى ورجعى
وألقت به فى حروب لا نهائية طولا وعرضا من أنجولا إلى
موزمبيق ومن البرازيل إلى المكسيك وهزت الكرسي البابوى

■ نهاية الظلم ■

وأنشأت علما مستقلا اسمه علم الإلحاد واحتكرت لنفسها المستقبل لأكثر من نصف قرن .

أين روسيا الآن من روسيا الأمس وهى تتسول اللقمة وتعطى موظفيها مرتبا شهريا من الكرنب بدلا من الروبلات التى سقطت قيمتها إلى الحضيض .

ولا يبدو فى الأفق مخرج غير التسول وطلب المعونات .
أى خيال مجنون كان يمكن أن يشطح بصاحبه إلى مثل تلك النهاية فى دولة عظمى كان ذكرها يبعث الرعدة فى الأوصال .
لكن الخفلة الشيطانية التى نعيشها فى ضجيج الإعلام وفى ضوضاء التليفزيون وبرامجه البلهاء ينسينا رفقة الحكمة والتأمل والاعتبار .

وتمضى الأحداث تنسى بعضها بعضا ..
والقتلة .. هل تذكرون عصابات القتلة من الهوتو والتوتسى فى رواندا ومليون جثة قتيل يجرفها النهر حتى تسد مجراه .
هل تذكرون من كان وراء تلك المذابح ومن كان يزود عصابات التوتسى والهوتو بالسلاح .. وثروات الكونجو من الماس والمعادن الثمينة وحرب الأطماع الخلفية التى تتنافس فيها فرنسا وبلجيكا وأمريكا وإسرائيل .. وموبوتو سيسى سيكو رجل فرنسا وعميلها ومن بعده كابيلا رجل أمريكا ... وأين الشعوب .. لا توجد شعوب .. إنما يوجد لصوص وعصابات و CIA وموساد ونشل منظم لثروات عالم بدائى لا يعرف له مكانا فى التاريخ .. وظلم بل ظلمات بعضها فوق بعض .. وقتل .. ودم .. وإبادة.
هل يفكر هؤلاء فى ساعة المحاسبة .
لا أحد يفكر .. ولكن لا يوجد شىء أكثر يقينا من هذه الساعة .

■ نهاية الظلم ■

والذى خلق هذا العالم الباهر فى دقته وإعجازه .. لن يفلت من يده ظالم .

والذى خلق الإنسان والكومبيوتر .. وما خفى من علوم المستقبل .. لاشك يعلم كيف يكون الحساب دقيقا ولأصغر كسر عشرى .

وفى حساب المواقيت عند ربنا هناك ما هو أصغر من واحد على مليار من الثانية .. وفى سرعات الليزر ما هو أدق من ذلك بكثير .

وحينما يقول ربنا إن عنده الموازين القسط فإن أهل العلم والإيمان يدركون من ذلك ما يشيب له الوليد .
حقا .. إن قلبا لا يسكنه الخوف من الله .. ليس قلبا .. بل مقبرة.

ماذا وراء

بوابة الموت



ماذا وراء

الغامضة؟

ما يجرى فى أمريكا أمر غير مفهوم .
هذه العاصفة التى شملت كل وسائل الاعلام
المرئية والمسموعة والمقروءة وكأنما قامت القيامة
على الرئيس كلينتون وعلاقته الجنسية بمونيكا وما
حدث فيها من ألوان « قلة الأدب » وما تبقى على
الفسطان من آثار بيولوجية تخص الرئيس .. وخمسائة صفحة
من اعترافات الأنسة مونيكا مليئة بالتفاصيل وتفاصيل التفاصيل
المخلة والمقززة التى ضمنها المحقق كينيث ستار وأرسلها فى
٣٦ صندوقا تحت حراسة أمنية مشددة إلى رجال الكونجرس
لتروى أحداث هذه العلاقة «غير الشرعية» مزودة بالرسوم
والاسكتشات التوضيحية .

وأفتح فمى فى دهشة وأنا استمع وأتفرج وقد اختلط على
الأمر وكأنما يجرى هذا التحقيق فى صحن الأزهر على أيدي
رجال الشرع الغيورين .. ثم أعود فاكتشف أنه يجرى فى صحن
واشنطن وفى قلب أمريكا التى تنشر أفلامها ومسلسلاتها العهر
والفجر والشذوذ والمخدرات فى شباب العالم والتى لا تجد فيها
طالب جامعة لا يتأبط فى ذراعه girl freind إلى شقته .. ولكل
أمريكى شأن خاص وحياة خاصة يحرسها الدستور الأمريكى
ولا يحق لفضولى أن يدس أنفه فيها .. ومغامرات الرئيس الراحل
كنيدى مع مارلين مونرو والروايات العديدة عما جرى بين كل

رئيس وسكرتيرته .. حكايات عادية كانت تمر بسلام ولا تفتح فيها ملفات تحقيق ولا عرائض اتهام .. والعهد قريب بالرئيس الفرنسي ميتران الذى لم يجد غضاضة فى أن يعترف بابنة غير شرعية يدعوها على الغداء علنا فى أفخر مطاعم باريس .. ويبتسم الفرنسيون إعجابا برئيسهم وأخلاقه المتحررة .. فماذا جرى هذه المرة فى قلعة الفساد والعهر فى العالم .. وما هذه الغضبة المضرية للحياء والشرع وما هذه الصيحات التى توشك أن تهدد بالجلد والرجم أو خلع الرئيس الفاسق من كل مناصبه .

وهل تنسجم هذه الغضبة الشاملة والمبرمجة بمهارة مع الدور الهدام الذى تباشره أمريكا فى قيادتها الفنية للعالم وهى تدعو بفنونها وأقمارها الفضائية ورواياتها وقنواتها التليفزيونية للتفسيخ والتحلل من كل شرع ومن كل حياء .. ومايكل جاكسون البهلول الشاذ جنسيا الذى تصفق له وسائل الاعلام الأمريكية .. أبلغ مثال .

إننا أمام تناقض غير مفهوم وغضبة للأخلاق من دولة لا خلاق لها . دولة تباشر القتل الأهوج للأبرياء فى غاراتها الجوية على السودان وأفغانستان .. ثم تلبس الحجاب والنقاب وتغضب للشرع فى حكاية مونيك .

نفاق عظيم من دولة عظيمة .. ورئيسها كلينتون حينما يحاصر بالأدلة ويسمع بخبر التقرير الذى أرسله المحقق كينيث ستار فى ٣٦ صندوقا وفى مئات الصفحات الحافلة بالصور والتفاصيل والأسرار والفضائح التى اعترفت بها عشيقته .. يتحول فجأة إلى شخصية الشاب النادم المعترف بالذنب ويلبس مسوح التوبة ويعتذر لحزبه ولزوجته وابنته وللجميلة مونيك التى انتهك عفتها

ولأم مونيكا ووالد مونيكا وللأمة الأمريكية كلها .. ويطلب المغفرة من الله والعون من الكنيسة ويتهدج صوته ويبتلع دموعه وتخرج نبراته منكسرة وكأنه ضبط يتبول على نفسه . عبقرية جديدة .. نكتشفها فى رئيس أكبر دولة .. وفى كيف يتحول الذئب إلى حمل والنسر الكاسر إلى حمامة وديعة .. وقائد أكبر دولة إلى طفل .

ولكن هل ينجيه ثوب الضعف والندم والاستغفار !!؟
أشك فى ذلك .. وما حدث كان العكس .. فقد أسقطه ضعفه فى عيون حزبه .. ولم يجدوا فيه رجلهم القوى الذى يمثلهم .. وتخلى عنه أكثرهم .

ولا شك أن الشرك المحكم والفخ الذى نصب له بمهارة .. والعقول الماكرة التى دفعت إليه بولا جونز ومن بعدها مونيكا لوينسكى ثم ليندا تريب لتسجل عليه الساعات الطوال من أشرطة الغزل الجنسى والفحش والهمس .. وكلهن يهود .

كل هذا كان وراءه خطة لاستدراج الرجل إلى حتفه .. وجبهة تريد تنحيته والإتيان بالنائب النشط آل جور الأكثر موالاة للخطط الصهيونية والرجل الأقوى فى مواجهة المواقف .. فالسنة أو السنتان الباقيتان من ولايته هما أخطر سنتين لتحقيق إسرائيل الكبرى .. وربما للإقدام على المواجهة العسكرية المحفوفة بالأهوال وهو ظرف لن ينفع فيه أمثال كلينتون الضعيف المفتون . إن الصهيونية تريد رجلها .

ولا بد أن يتغير المسرح وتتبدل الوجوه .
وما كان أسهل أن تقوم قيامة الإعلام الأمريكى فعملاق الصحافة الأمريكى هو الصهيونى اليهودى روبرت مردوخ الذى يملك وحده أكبر عشر صحف هذا غير محطات البث التليفزيونى ودور النشر .

وهكذا انفجرت البالونة المنفوخة بعناية .
وكان ما نرى أمامنا من عرض مبرمج ومصنوع وفضيحة
منسوجة بمهارة وحرفية ليلبسها صاحبنا .. وليلتبس الأمر علينا
نحن فلا ندري ما الحكاية .

وسوف يمضى كلينتون إلى حال سبيله أو يتحول إلى بطة
عرجاء تنفذ ما يطلب منها دون مناقشة .. وهو أمر مفيد فى
الحالين .

أو يأتى الفتوة الجديد آل جور ليقود السفينة فى الموج
المتلاطم إلى حيث تريد إسرائيل .

وهذه هى القراءة المنطقية الوحيدة لهذا العرض غير المنطقى
الذى شاهدناه لهذه الغضبة العنترية لعفة لا وجود لها ولأخلاق
عذرية انتهت من آجال ولم يعد لها وجود فى القارة الأمريكية
ولا فى أى بقعة من أوروبا .

وفى قلب لندن فى الامبراطورية البريطانية العريقة وفى
العائلة المالكة ذات التقاليد المحافظة العتيقة طلعت الأميرة ديانا
على شاشات التليفزيون لتقول فى جرأة عجيبة أمام الملايين ..
لقد خنت زوجى أكثر من مرة .. والزوج المذكور هو الأمير شارلز
وريث العرش بجلالة قدره .

وماذا حدث حينذاك !!؟

صفق لها الشعب واعتبرها قديسة .. ومشى فى جنازتها
الملايين .

وهذا هو عصرنا العجيب الذى نعيشه .. فأى غرابة فيما فعل
كلينتون باتخاذة عشيقة .. وهو الرجل «الحيوة» المتربع على

■ ماذا وراء العاصفة ؟ ■

عرش أقوى دولة فى العالم .. دولة تزعمت العالم فى اللهو والعهر والفجور .. وجعلت من إعلامها فراش غرام .

وكيف احمر وجه هذا الإعلام فجأة خجلا وراح يتشنج من التقوى والتعفف .. وكيف تحولت الصحافة الفاجرة إلى كردينال يحاكم العشاق ويهددهم بالجلد .

لقد كانت الخطيئة الكبرى التى ارتكبتها كلينتون هى مسح التوبة التى لبسها فجأة ووقف حانى الرأس يقول بصوت مرتجف كطفل ابتلت ملابسه الداخلية .

لقد أخطأت وفعلت فعلا غير لائق .. وأنا مذنب ونادم .
والحق أن ما فعله كان لاثقا ومناسبا أشد المناسبة للأخلاق الأمريكية والحضارة الأمريكية التى يمثلها .. وكان ابن هذه الحضارة بحق فيما فعل .. وابن هذا العصر الداعر المنحرف .
ولو أنه قال فى رجولة :

« هذه أمور شخصية تخصنى وحدى وليس لأحد أن يخوض فيها .. حاسبونى على إدارة الحكم وعلى إدارة الاقتصاد وعلى علاجى للبطالة فهذا ما اخترتمونى من أجله » لو قال هذا .. لكان منطقيا مع نفسه ومع منصبه كرئيس ومع دولته التى لا يهتمها إلا رواج السوق وارتفاع الدولار .

ولكنه اختار إثارة العطف وتحول إلى طفل .. فخسر كل شىء واستحق السخرية .

ولم نقبل منه بعد ذلك إرساله أرتال الطائرات قاذفات القنابل للإغارة على أفغانستان وضرب مصنع أدوية الشفاء فى السودان .. للتغطية على أفعاله وكانت هذه التغطية منه رجولة مفتعلة فى غير موضعها .

وسوف يظل السامر الإعلامى ومولد سيدنا كلينتون ومونيكا مادة مسلية للفرجة والسهر ومسلسلا مشتعل الحلقات يتجمع حوله العالم مثل مباريات كرة القدم ومسابقات الكأس .

وكالعادة فى أمريكا كل شىء يتحول إلى تجارة « وبيزنيس » وكل مصيبة تتحول إلى مكسب حتى سقوط السيد الرئيس .. والبركة فى المخرجين العظام من وراء الأحداث وأصحاب المصالح فيما حدث ويحدث .

وإذا صادفك حدث غير منطقى فى بلاد العم سام ولم تستطع أن تفهمه عليك أن تسأل من المستفيد ومن الخاسر وما المصلحة ومن هم أصحاب المصلحة .

ولماذا فى هذه الحكاية التى حكيناها كان كل الأبطال يهودا بولا جونر ومونيكا لوينسكى وليندا تريب وباقى سرب الهوانم اللاتى ألقى بهن فى طريق كلينتون .. وأعضاء الكونجرس الذين أطبقوا على رقبتهم كانوا أيضا من نفس الطائفة .

ولماذا احتفظت مونيكا ببقايا السائل المنوى فى فستانها لسنوات ولم تفكر فى غسله ولماذا سارعت ليندا تريب إلى تسجيل مكالماته .

إن ما حدث لم يكن شيئا عفويا ولم يكن عاطفة عابرة ولا نزوة .. وإنما كان فحا منصوبا بمهارة .

واليهود والصهاينة هم أصحاب المصلحة فى أن يمضى كلينتون لحال سبيله ويأتى رجلهم آل جور لأن السلام العربى الإسرائيلى استنفذ أغراضه ووصل إلى نقطة تحول .. وكلينتون لم يعد رجل هذا التحول .

وما تبقى من قضايا مع العرب لن يؤخذ بالسلام بل بالحرب .

وهذا الانتقال من الأبيض إلى الأسود دفعة واحدة سوف يحتاج إلى رجل آخر وإلى لغة أخرى وظروف أخرى ومبررات أخرى .

وما نراه الآن هو بعض هذا التحول .

وسوف تتغير غدا أشياء كثيرة .

فهل يدرك أصحابنا العرب المتغيرات الجديدة .

وهل ستكون عندهم المرونة الكافية ليغيروا من أنفسهم ومن مواقفهم ومن الثوابت التي دأبوا على ترديدها مثل .. السلام حل وحيد .. والسلام إلى الأبد .. والسلام قرار استراتيجي .. وأغاني مدريد .. وشعارات أوصلو .. وأحلام كوبنهاجن وتسابيح كامب ديفيد.. إلى آخر موال النوم في العسل .

وإلى متى ذلك النوم

وماذا لو فاجأهم العدوان.

ماذا لو أعلنت عليهم الحرب .

ماذا لو اقتحمت الدبابات حدودهم .

هل فكروا في هذا الاحتمال ..؟؟

وأقول .. بل هو الآن أكثر من احتمال .. وبعد هذه المقدمات

لعزل الرئيس أو تكتيفه أصبح هذا الاحتمال حقيقة .

فهل سأل العرب أنفسهم .. لماذا تكس إسرائيل السلاح في

ترساناتها .. ولماذا تعقد الأحلاف العسكرية مع تركيا !!؟

وهل تراها تكس السلاح ليصدا في مخازنه !!؟

وهل تنفق الملايين بل المليارات هباء على أسلحة كيماوية

ونووية وطائرات ودبابات وصواريخ لا تفكر في استعمالها .

وهل يسمع العرب دوى انفجارات القنابل الإسرائيلية في جبال

لبنان كل يوم .

■ ماذا وراء العاصفة ؟ ■

وهل يذكرون كلام الله فى قرآنه عن الحرب مع إسرائيل .
وهل يقول ربنا فى قرآنه إلا الحق .
هى مجرد كلمات للتذكرة .. ولإعمال الفكر.. ولإعادة النظر ..
حتى لا نفاجأ بما لم يكن على البال .
وحتى لا يقول رجال الاستراتيجية عندنا .. هذا أمر لم يكن فى
الحسبان .

وسؤال آخر فى حكاية مونيكا وكلينتون يلح على ذهنى .
ألم يخطر على بال هذا الرجل المفتون الذى تربع على عرش
أكبر وأقوى دولة فى العالم احتمال واحد فى المائة أن تكون هذه
العاشقة المتيمة التى ألفت بنفسها فى طريقه وارتمت فى أحضانه
يمكن أن تكون جاسوسة تستعمله وتمثل عليه وتسجل عليه
مكالماته وهمساته .

وهل انطمس عقله وضاعت فطنته لأول قبلة .
وكيف يعتذر لها بعد كل ما انكشف له من لعبها بعقله
وما حدث من فضحها له واحتفاظها بعينة من سائله المنوى
لتشهد بها عليه .. كيف يعتذر لها ويطلب منها الصفح والمغفرة ..
وعن ماذا .. ومن الجانى ومن المجنى عليه فى الحكاية كلها .
وكيف يمكن أن يؤتمن مثل هذا الرجل على المنصب الخطير
الذى يشغله .

يغلب على ظنى أنه انتهى فعلا .. وأنه ذاهب .. وأن الصهاينة
قد حبكوا خطتهم « وقرطسوا الراجل » .. وإننا سائرون بسرعة
إلى ذروة مؤكدة .

ماذا وراء

بوابة الموت



إنذار بسوء

الخاتمة

سهير أحمد السكري أخصائية اللغويات فى
جامعة جورج تاون واشذعن تحكى قصة مثيرة
ذكرها الكاتب الإنجليزى E. H. Janser فى كتابه
Militant Islam أى الإسلام المقاتل يقول فيها أن
إنجلترا وفرنسا قد أجرتا بحوثا عن أسباب قوة
وصلابة الإنسان العربى وتمكنه من فتح البلاد المحيطة به من
الهند إلى تخوم الصين .. فوجدت أن السر فى ذلك كان طريقة
تعليم الطفل العربى وكيف أنه يبدأ قبل الخامسة بحفظ القرآن
وختمه وهو الكتاب الجامع لأفصح التراكيب اللغوية وأجمل
الصيغ البلاغية التى تنطبع فى الذاكرة فلا تزول مما يحميه من
الوقوع فى مرض الازدواج اللغوى (دياجلوسيا) وهو الضياع بين
لغتين عامية وفصحى لا يتقن أحدهما .. كما يعطيه القرآن طاقة
نضالية وصلابة خلقية وزخما إيمانيا وصله بالغيب لا تتخلى عنه
طول عمره فهو يشعر دائما أنه لا يقاتل وحده وإنما يوقن بأن الله
معه ينصره ويؤازره طوال عمره (آخر عدوان على القرآن فى
بلدنا كان قرار الأزهر بتقليص درجات الامتحان الشفوى فى
القرآن .. وكيف يكون هذا والقرآن كتاب نزل ليقرأ شفاها بحكم
تسميته قرآنا .. وعلم القراءات علم أساسى فى التلاوة وعلى
الممتحن أن يسمع القرآن من فم الطالب كيف يتلوه وكيف ينطق

آياته .. وأول ما نزل منها : اقرأ باسم ربك .. لم يقل ربنا .. اكتب باسم ربك) .

وقد آمن المستعمرون الإنجليز والفرنسيون بأن المعركة مع المسلمين يجب أن تبدأ من الفصل الدراسي .. من المدرسة .. بتدمير التعليم الديني (هكذا تقول السيدة سهير) كما تكون بنشر المدارس الأجنبية المنافسة في كل البلاد العربية .. ومحاربة اللغة العربية وبالاتفاق في بذخ على تعليم اللغات الأجنبية وربطها بالتقدم والتكنولوجيا والعلوم العصرية وفرص الثراء والمرتبات الأكبر .. وجعل القرآن محصورا في الكتاتيب والمدارس الفقيرة والأسر المعدمة وربط التعليم الأجنبي بالطموح الطبقي والنجاح والغنى .. وفي إحصائية أخيرة اتضح أن محصول الطفل الأجنبي من المفردات اللغوية قبل دخوله المدرسة يبلغ في المتوسط ١٧٠٠٠ كلمة .. بينما محصول الطفل العربي في هذه السن تكاد تكون معدومة .

وهي ظاهرة تفسر تخلفنا .. وتفسر أن ما يحدث الآن من حصار للإسلام وضرب للمسلمين هو أمر قديم كان وراءه تخطيط وفكر .. وأن الواجهة البريئة من المدارس والجامعات الأجنبية والثقافات المنافسة لم تكن أمورا تطوعية لخدمتنا بل كانت غزوا منظما مدروسا لفتح ثغرة في هذا الجدار الصلب الفولاذي الذي اسمه الإنسان العربي والفتح العربي الذي امتد من المحيط الأطلسي إلى الخليج الفارسي ومن الهند إلى تخوم الصين في لا زمان .

وتتحدث السيدة سهير عن غزو آخر يواكب هذا الغزو تسميه الـ Junk food .. أو أكل الزبالة وهو الموجة القادمة من أمريكا ..

■ إنذار بسوء الخاتمة ■

سندوتشات الهامبورجر والماكدونالد والوجبات السريعة .. وهى تصنع عادة من نفايات اللحوم وزبالتها وليس لها قيمة غذائية تذكر .. وقد جاءتنا هذه الموجة مع هوية الأكل على الواقف والأكل على الرصيف والأكل فى الأتوبيس .. وهى طريقة للأكل غير صحية وهى مسئولة عن حالات التلبك المعوى وسوء الهضم وفقر الدم وسوء التغذية عند الشباب .

ولم نتحدث السيدة سهير عن الزبالة التليفزيونية والزبالة السينمائية من أقلام الرعب والجنس وروايات العهر التى وصلت إلى أعلامنا وقنواتنا الفضائية والتى يتلذذ عليها البعض من شركاتنا السينمائية والكثير من منتجينا وممثلينا .

وحينما نقرأ الآن عن ضرب العراق وعزم أمريكا الوشيك على إرسال طائراتها وحاملات قنابلها لإسقاط هدايا الرعب والموت على الشعب العراقى الجائع المقهور .. فإننا نعلم الآن أن الضرب مستمر من قديم .. ومن قبل ذلك كانت هناك حرب الخليج التى صنعتها أمريكا صنعا على أيديها وأوعزت بها إلى صدام حسين ليغزو الكويت لتستدرج بعد ذلك العرب إلى المذبحة التى أضاعوا فيها البترول وفتحوا الأبواب للقواعد الأمريكية لتدخل على الرحب والسعة ولتفقد البلاد العربية سيطرتها على أسعار نفطها إلى الأبد.

ومن قبل ذلك كانت هناك حرب العراق وإيران .. والأسلحة للاثنيين كانت تأتى من أمريكا .

ومن قبل ذلك كان زرع إسرائيل فى المنطقة العربية وإثارة سلسلة من الحروب لا تنتهى .
والغزو مستمر على جميع الأصعدة .

والإدارة الأمريكية الآن جميعها فى قبضة اليهود والصهاينة وعملاء إسرائيل .
ومن وراء الإدارة الظاهرة هناك جماعات الضغط « واللوبي » وكلهم من اليهود والصهاينة .
والكلام عن الغزو يجرب بعضه .
ومنذ متى لم يكن هناك غزو !!؟
ولكنه الآن غزو جهير وداعر وسافر ومعلن ووقع .
والصهيونية تحاول الآن تشكيل العالم على وفاق مطامعها .
وصدق القرآن حينما خاطب إسرائيل ذلك الخطاب الجامع المانع فى سورة الإسراء قائلا :
﴿ لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ .
وإذا قسنا كلمة « العلو الكبير » على كبر المتكلم .. فإن المعنى يتضمن فى باطنه كارثة .
ولولا أن رحمة الرحيم عادت فشملتنا فقال سبحانه لإسرائيل فى آخر الآيات :
﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ .
فجعل من الخاتمة دمارا شاملا عليهم وعلى ما بنوا وعمروا .. لولا ذلك لكانت الآية نذير نهايتنا .
وحسبنا حسن الختام فإننا لا نملك الآن شيئا سوى التمنى .
ولكن يظل فى الآية معنى آخر باطن .. فكيف يدخل المسلمون القدس ويجعلون عاليها سافلها .. وأين تكون أمريكا حينذاك .. وأين يكون أسطولها السادس وبوارجها وغواصاتها ومقاتلاتها التى تجوب الفضاء .. وأمريكا هى حامية إسرائيل والحارس الساهر على سلامتها منذ ولدت .

والجواب واحد من احتمالين .. أما أن أمريكا ستتحوّل إلى الموقف المضاد المناهض وستقلب على إسرائيل وتعاون في القضاء عليها .. أو الاحتمال الآخر .. أن أمريكا لن يكون لها وجود.. وتكون قد غرقت بكامل ولاياتها في كارثة فلكية .

ولا يعلم الغيب إلا الله .

وتبقى آيات القرآن التي تشير إلى مستقبل إسرائيل وما قضى به ربنا عليها .. من آيات الإعجاز ومن مغاليق القدر المطلسم .. وهي من الآيات التي يذكرها المفسرون في استحياء ويقولون .. تفسيرها حدوثها .. ويفضلون هذا على التخيّل في التأويل .

وتأتي في الأناجيل وفي رؤى يوحنا اللاهوتي وفي التوراة نذر بنهايات وكوارث مشثومة مشابهة .. ويعلم الأحبار العجائز بهذه الخاتمة المشثومة لدولتهم .. وفي إسرائيل حزب ديني من أحزاب الأقلية يرفض فكرة إسرائيل الكبرى ويرى أنها لو حدثت تكون فيها نهاية إسرائيل .

ولكن الاندفاع التاريخي يمضي في جنونه ويرفض ما يتهامس به هؤلاء وهؤلاء .

وكمثل الحجر الهائل الساقط من الجبل سوف تهوى إسرائيل إلى نهايتها دون أن تستمع إلى عظة أو تصغي إلى حكمة .. فهكذا يقول ربنا في كتابه :

﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ .

إن ربنا قضى قضاءه وانتهى الأمر .. ولا مرد لقضائه ولا معقب لكلمته .

ويبقى أن نحاول نحن العرب أصحاب القضية أن يكون لنا

■ إنذار بسوء الخاتمة ■

إسهام محمود ودور مشرف فى ما يجرى وألا نكون مجرد متفرجين نمضغ أمجادا قديمة عفى عليها الدهر أو نكون خوارج جددا وأحزابا رافضة وطوائف عدمية تتهم هذا وذاك بالكفر وتطعن فى ذمة كل مسلم .

وشيطان اليوم اسمه التطرف وبضاعته اليوم يدفع فيها بالدولار وتدخل فى المزاد دول تبحث عن من يشعل لها النار بأى ثمن وتشترى الفتن والتفجيرات من الذين يفجرونها بأسعار فلكية.

والإرهاب باسم الإسلام أصبح الان له مراكز فى جنيف ولندن وواشنطن .

وإسرائيل هى أكبر مساهم فى لعبة خلط الأوراق الجارية . والموساد والـ C. I. A تديران هذه الحرب الخلفية .. وهى لا تنفصل عن الحرب الظاهرة ولا عن المفاوضات الوهمية والسلام الزائف ومدريد وأوسلو واحد وأوسلو اثنين وكوبنهاجن إلى آخر مسلسل التمويه والدوخة التى يدوخ معها قارئ الصحيفة العادى فى دوامة يومية ولا يعرف رأسه من رجليه . ولكن القضية لها رأس .. ورأسها هى القدس .. ولها أرجل .. وأرجلها تتسابق إلى احتلال كل شبر ممكن من الأرض وكل قطرة ممكنة من المياه .. وكل بضعة من التربة الزراعية الخصبة .

وهذا يعود بنا إلى وعد إسرائيل وسورة الإسراء . ودائما كان قارئ القرآن يدهش لهذه النقلة الفجائية للآيات التى استهلّت السورة بهذا التسبيح الرحمانى الجميل .. ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع

البصير .. وفجأة تنقله الآيات فى قفزة واحدة إلى سيدنا موسى .. **﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾** .

وكان القارئ يدهش لهذه النقلة الفجائية ويتساءل عن المغزى والمناسبة بين الإسراء بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام إلى المسجد الأقصى وصلاته الجامعة بالأنبياء هناك .. وبين موسى وبني إسرائيل .. وفى الواقع أن هذه النقلة هى الإعجاز القرآنى بعينه .. وأن هذه النقلة كانت مقصودة .. وكان المراد بها لفت النظر إلى أن الإسلام سيكون له دور هناك.. وأن صلاة النبي إماما بكل الأنبياء فى الرؤيا المحمدية إشارة إلى الدور القيادى للإسلام فى هذه المرحلة الحرجة من التاريخ .. ثم تنتقل السورة إلى الحديث عن الإفسادتين وإلى العلو الكبير وتأتى إلى النهاية بدخول المسلمين إلى القدس منتصرين وتدميرهم لكل ما أنشأت إسرائيل وكل ما عمرت .. فى سياق متصل ختامه .. «وإن عدتم عدنا» . أى لا أمل ولا قيام لأى إسرائيل كبرى ونحن لكم بالمرصاد .

وسورة الإسراء هى التحدى القائم والمستمر لكل ما تخطط له إسرائيل ولكل ما تحيكه من مؤامرات وفتن وحروب وتأكيد بأن كل هذا سوف يذهب هباء وبأن إسرائيل لن تصل إلى شىء .. ولا خلاص لإسرائيل من شؤم نهايتها إلا بالخلاص من القرآن كله وهذا أمر مستحيل فالقرآن هو كلام الله المحفوظ إلى آخر الدهر . وسوف تؤكد الأيام مصداقية هذه النبوءة وسوف تضيف إلى القرآن دليلا جديدا من أدلة إعجازه التى تحدى بها ربنا الإنس

والجن وكل من يتصور أنه يستطيع أن يقلد هذه الآيات أو يأتي بمثلها .

وإن أتى بمثلها فكيف يأتي بالمستقبل وكيف يفض مغاليق الأقدار وكيف يقلب مقدمات الهزيمة نصرا لم تظهر له شواهد ولم تبد له باديات .. وكيف .. وكيف .

إنه الله الحق مالك الملك الذي أحاط بكل شيء علما والذي يملك الماضي والحاضر والمستقبل وكل ما كان وما يكون وما سوف يكون وحينما يتكلم فكلامه قدر .

وصدق الله العظيم :

﴿ إنه كان وعده ماتيا ﴾ (مريم : الآية ٦١)

ماذا وراء

بوابة الموت



البيعت

«السوبر»

اللغة العربية تتراجع ومعها أسماء الدكاكين
وأسماء المأكولات لتزحف علينا غزوات أعجمية
تقتحم علينا حياتنا وتصبغها بالصبغة الأمريكية..
فالقري السياحية الجديدة تملأ الصحف بأسماء..
الدريم لاند والكورال بيتش وبيقرلى هيلز وجولدن
بيتش.

وتدخل هذه الرطانة قاموسنا اللغوى وتحتله.. ونجد أنفسنا
نقول.. دادى.. وأونكل.. وتانت.. وبودى جارد.. وكـتـالـوج..
وباسبور.. وستريو.. وسوبر ماركـت.. وبون جور.. وبـاى باى..
وبارتى.. وهـاى.. وأوكيه.. وهالو.. وبراقو.. وسوفاج..
وأم بوسيل.

ويجرى التشويه والعبث فى الألفاظ العربية فنسمع كلمات
أمثال «كماننا» يغنيها الجيل الجديد الضائع.. وننسى أننا نفقد
بهذا أرضنا التى تقف عليها ونفقد عروبتنا ونفقد قوميتنا ونفقد
قيمنا ونفقد خصائصنا.. فلا عجب أن تختفى الشهامة العربية بعد
ذلك من الشارع.. وأن يختفى الشرف بمفهومه العربى من البيت
وأن تكون العروسة السوبر فى نظر العريس هى مسخ فرانكو
أراب.. فهذا هو القالب الجديد الذى يبحث عنه والذى انطبع فى
ذهنه من رؤية المسلسلات الأمريكية والسينما الفرنسية.. وهذا

هو معنى التقدم كما أخذه من التلفزيون ومن أفلام السينما ومن كبار المخرجين من حملة الأوسكار ونجوم الإغراء من صناعات الموضات والأهواء.

ونظرة سريعة إلى أسماء المحلات في ميدان شعبي مثل ميدان السيدة زينب لا تجد فيه اسما عربيا واحدا وربما عثرت على اسم يتيم بين كل عشرة محلات.. وهذا هو الوصف الدقيق لحالنا.. إننا نتحول بالتدريج إلى أيتام بلا أب وبلا أم.. ونصبح غرباء عن أرضنا وفي بلدنا ونفقد حسبنا ونسبنا وأصلنا.

والمسؤولية تقع على كل واحد فينا ابتداء من وزير التربية والتعليم ونزولا إلى حلاق القرية.. والاستعمار الفرنسي ومن بعده الانجليز ومن بعده الأمريكي يحمل معظم الوزر.. ولكن هذا المسلسل الغاشم من الغزو الأجنبي لا يكفي لإبراء ذمتنا.. قمصر بموقعها الفاتن والعبقري كانت ضحية لموجات من الغزو بلا عدد ولكن كان الملاحظ دائما أنها تطبع الغزاة بطابعها أكثر مما تنطبع هي بهم.. وأكثر من دخلوا مصر تمصروا أكثر مما تفرنجننا نحن وهولنا وراءهم.

والتخلف سبب آخر فنحن لم نعد ننتج المعرفة ولم نعد نبدع في العلوم والمخترعات وإنما أصبحنا مستهلكين لما ينتج ولما يبدع غيرنا وناقلين لما يخترع الغرب.. فدخلت علينا المخترعات الجديدة بأسمائها.. الراديو والتلفزيون والتليفون والميكروفون والموتور والفريجيدير والأنسر ماشين والفيديو والكاميرا والكومبيوتر والإنتركوم والانترنت.

نحن صناعات الأهرامات لم نعد نصنع ساندوتش هامبورجر ولم نعد نخترع كنتاكي.

ولولا القرآن ولولا الإسلام لانتهينا.. فالمسجد كان حصنا حصينا لم تستطع هذه الغزوة المفترسة أن تقتحمه.. ولم يظهر مسجد اسمه مسجد الدريم لاند ولا مسجد الكورال بيتش ولا مسجد الباليه رويال.. ولا مسجد التانجو.. وإنما هناك مسجد الرحمة ومسجد المغفرة ومسجد قباء ومسجد النور. ولم يدخل علينا الإسلام غازيا.. لم يدخل علينا ليسلبنا كما يظن البعض.. بل دخل ليعيد إلينا ما فقد منا.. توحيد نبينا المصرى إدريس.. الذى كان يشع على العالم من جامعة أون (عين شمس حاليا).

وكانت جامعة أون بمثابة أمريكا فى إشعاعها الثقافى والدينى والعلمى فى ذلك الزمن القديم.. ونقرأ أن أفلاطون جاء من اليونان إلى مصر ليتلقى العلم فى جامعة أون.. وليقرأ ما كتب فى مخطوطاتها وبقي فى مصر سنوات يدرس ويتعلم. وما فعله أفلاطون فعله كل علماء وفلاسفة هذا العصر.. كلهم جاءوا إلى مصر ليتعلموا.. وهذا الكلام تاريخى وحقائق.. وكانت «صحف إدريس» ضمن ما تحتويه مخطوطات هذه الجامعة المصرية القديمة.. وقد قرأها موسى ودرس ما فيها حينما تبناه الفرعون.

وما تبقى من «صحف إدريس» هو ما يعرف اليوم بكتاب الموتى الذى عثر على بعض بردياته فى الأهرامات.. وهو من أجمل ما قيل فى التوحيد من تسابيح.

نحن إذن بلاد علم وفلسفة وتاريخ.. وحالة «الهيافة» الشائعة حاليا فى ثقافتنا وفى تعليمنا وهذا الانحدار فى لغتنا والسوقية فى أخلاقنا والسطحية فى تفكيرنا هى ظواهر غازية وليست

أصيلة.. وهى بقق وقذارات من العالم الغربى أصابتنا أثناء تسكعنا فى أزقة نيو يورك.

والقرآن العظيم فى عطائه الإلهى وآياته التى تمكنت من شغاف قلوبنا هى التى ستحفظ لغتنا العربية الجميلة وهى التى ستحفظ قلوبنا من التردى وهى التى ستروى بقية الأصالة فىنا.. إنها الحبل الممدود من رحمة الله لإنقاذنا.

ولهذا تحاول الصهيونية من خلال أمريكا ومعوناتها وتوصياتها وضغوطها وعملائها تدمير النظام التعليمى وذلك بتخويفنا من الدين وبتشويه الإسلام ودمغه بالإرهاب.

والتخطيط الآن على اتساع العالم هو صناعة وتمويل إرهاب إسلامى مأجور واستخدامه للتفجير والتحذير من الإسلام تمهيدا لشطب فقه الجهاد من العقل المسلم واعتباره إجراما وإرهابا وفقه الجهاد هو بعض ما قام المشرفون فى الأزهر بشطبه واختصاره من المقررات الجديدة على الطلبة للأسف الشديد.

إنها معركة حقيقية ومستمرة على جميع الأصعدة.. على المستوى الدينى واللغوى والاجتماعى والعروبى والسياسى والعسكرى والوطنى.

ولكنها لن تنجح.. لأن القرآن الشامخ فى لغته الرفيع فى معانيه التقدمى فى تعاليمه السمح فى شرائعه الجميل فى آياته الموسيقى فى إيقاعاته.. سوف يقف سدا مانعا يتحطم عليه مكرهم.

فعندهم المبانى.. وعندنا المعانى

وعندهم علوم الدمار.. (وكان قوم عاد ينحتون الجبال.. وكان عندهم ما هو أبهى من نيو يورك.. ﴿إِرم ذات العماد.. التى لم

يخلق مثلها في البلاد ﴿ هكذا يقول عنها رب العالمين.. إنها لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ فذهبوا وذهبت عمارتهم ولم يبق لها أثر.. وبقيت أهراماتنا تدل علينا.

تلك عاد التي أسماها القرآن ﴿ عاد الأولى ﴾.. لماذا وصفها بأنها الأولى؟!

لا بد أننا الآن في زمان عاد الثانية (أمريكا) وأنه سيجري على الثانية ماجرى على الأولى. ويقول الساخرون منهم:

أنتم تنتظرون ربكم أن يفعل لكم كل شيء.. فهو يلهمكم ويعلمكم وينصركم ويداويكم ويشفيكم ويغنيكم.. وقد جعلتم من أنفسكم عالة.. بل أنتم قوم مهزومون.

ونقول لهم.. كل الخلق عالة على الله من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون.

ولا نرى غرابة في هذا فنحن نشعر يقينا أننا نحيا بالله وأننا نرى به ونسمع به ونتنفس به.. وكان نبينا يقول لربه.. بك أحيأ وبك أصول وبك أجول ولا فخر لى.. إنها حقيقة نؤمن بها. فلا علم لنا إلا من مدده

وهو الذى علمكم فأطغاكم علمكم وأنساكم ذكره.

وما النصر والهزيمة إلا تداول النهار والليل.. والأيام دول.. وما من جبار لم تنتكس رايته.

وكم من منتصر فى الظاهر وهو مهزوم القلب أمام شهواته وغرائزه.. واقرأوا حكايات مونيكا وكلينتون.. ولماذا استنكرتم أفعال الرجل وهو يطبق أفكاركم ويمشى على ناموسكم.

أم أنها صحوۃ الفطرة أصابتكم فلم تملكوا إلا أن تقبحوا القبيح.

أم أنها لبسة المكر وأساليب التآمر ومكياج الأخلاق تضعونه
على وجوهكم فى الليل وتغسلونه بالنهار.
احترنا فيكم

ويقولون.. نحن لم نقبح فيه الفعل.. بل قبحنا فيه الكذب.
- ولما تاب وأناب واستغفر ماذا فعلتم؟
- إنه لم يتب ولا استغفر بل استرسل فى الكذب.. إنه ممثل
عظيم.

- وهل مدينتكم بأسرها إلا أزياء ومسوح وماكياج وأكاذيب
وأكبرها كذبا تمثال الحرية الواقف على مدخل أمريكا.. حرية من
وأنتم تستعبدون أحرار العالم وتأكلون أموالهم وتنهبون ديارهم
وتحتلون أرضهم.. وهل قامت أمريكا إلا على أنقاض الهنود الحمر
الذين أبيدوا عن آخرهم.

وقنابلكم على مصنع الشفاء.. التى حرمت الشعب السودانى
من الدواء.. أى حرية صنعت.

ويستمر الكلام إلى الأبد.. ويستمر الجدل فى كل بيت..
وتستمر مكابرة المكابرين.

وإنما أراد الله أن يمتحن الكل وأن يختبر القلوب والنفوس
حتى نخاع العظام.

وهو هو وحده الذى يعطى الحرية للجميع ليفعل كل امرئ
ما يخلو له حتى لا يعود لأحد منهم عذر وحتى لا تبقى له ذريعة
ولا تعود له حجة.. ثم يهدم ربنا الدنيا ويأتى بعاليها ساقطها.

ثم يأتى بالكل أمامه فردا فردا

ثم يبدأ الكلام المفيد

وساعتها.. حينما تتعزى النفوس عن أحقادها.. لا يعود هناك

مخرج.

فريق فى الجنة وفريق فى السعير
ولقد كانوا جحيم هذه الدنيا وسعيرها بالفعل حتى وهم فيها.
وكانت النار تنقدح فى نظراتهم واللهيب يشتعل فى أحقادهم.
ولقد صدق الشيخ الأكبر ابن عربى حينما تصور ذلك الحوار
الخيالى فى قاع الجحيم بين هؤلاء الشياطين وبين ربهم.. وهم
فى ثورتهم يجأرون.. كيف تحكم علينا بهذا يارب.
فيقول لهم ربهم..

ما حكمنا عليكم ولكن هكذا كنتم
فهم أهل الجحيم منذ البداية وهم أهل النار الذين هم أهلها منذ
أن وجدوا.. ولكن الهيكل الترابى والبدن الطينى كان يخفى
حقائقهم..

وقد تنكروا فى هذه الأزياء واستتروا فى هذه المناصب
وتخفوا فى هذه الشخصوس.. حتى داهمهم الموت فخلع عنهم هذا
البهرج وأسقط عنهم هذا الثوب الكاذب الزائف.
فمتى نُسقط عن أنفسنا هذا الزيف بأيدينا قبل أن يفاجئنا
الموت فيعرينا هذه التعرية المخجلة.
متى نعود إلى مصريتنا وإلى عروبتنا وإلى إسلامنا وإلى لغتنا
وإلى أصلنا.

متى نلتقط قارب العبور فى محيط العولمة الخادع ونكتشف
طريقنا إلى نفوسنا وإلى حقائقنا وإلى تمييزنا وانفرادنا..
وخصوصيتنا.

إن العودة إلى النفس هى بداية النجاة
ومعرفة النفس هى أم المعارف وبداية الطريق لمعرفة الله.
والبنت «السوبر» لن تصلح لتعمر بيتك

إنها قد تصلح كقطعة ديكور.. أو كورق ملون للحائط.. أو كدمية من السوليفان.. أو فيلم لفرجة ليلة.. ولكنها لن تصلح لرحلة عمر.. لأنها فقدت نفسها.. فقدت خصوصيتها.

وكل نسخة من نفوسنا خلقها الله كبصمة الأصبع خاصة جدا وشديدة الخصوصية وغير قابلة للتكرار وغير قابلة للعولمة.. فهي ذات ليس لها مثل فى سرها وخصوصيتها.. وهى تلمع وتتألق كالجوهره كلما حافظت على هذه الخصوصية ولم تذب ولم تتعولم ولم تصبح مشاعا.

والنفوس العظيمة هى التى استعصت على الذوبان وحافظت على البصمة الإلهية الخاصة فيها.

وما أكثر ما تروج صحافتنا من ضلالات.

وأولى تلك الضلالات هى «العولمة» وهى كلمة مهذبة جدا للتبعية والأمركة وفقدان الهوية والخصوصية والذوبان فى الهلامية العالمية.

وليس أجمل فى الدنيا من قول لا إله إلا الله.

فإن الله يقول لك لحظتها.. ولا أحد مثلك.. فأنت أيضا نسيج وحدك.. وهكذا خلقتك.

نعم.. فلا أحد مثل أحد.. وكل واحد منا فيه «أحدية» تميزه تشريفا وتكريما من الأحد الذى خلقه

ولا تحدث المثلية إلا لمن فقدوا نفوسهم وفقدوا وجوههم وضلوا عن خصوصيتهم.

فلنعد إلى أول صفحة من كتاب الموتى ونتلو أول عبارة من صحف النبى إدريس.. إنه الله الواحد الأحد جل جلاله لا إله إلا

■ البيت السوبر ■

هو تعالى على الشبيه والمثيل.. ليس كمثله شىء.
هذه الترنيمة السماوية.. التى تتردد منذ آلاف السنين.. هى
مصر.

وما دخل الإسلام مصر إلا ليذكرنا بها
ولغتنا العربية هى حصننا ومحفة تاريخنا وحروف قرآننا.
وهى وجهنا وملامحنا والتفريط فيها تفريط ملامحنا وسحتتنا
ونسبنا وهويتنا.

والقرارات التى نزلت بدرجات اللغة العربية فى المجموع إلى
مستوى درجات الانجليزية.. كانت جريمة بكل المقاييس.. أن ننزل
بلغتنا إلى مستوى اللغة الثانية بارادتنا!!

وإصلاح هذا الأمر.. والنهوض بتعليم اللغة العربية واجب فى
رقبة الجالس على كرسى وزارة التربية والتعليم.. فما يصلنا من
خطابات بلهاء مليئة بالأخطاء يدل على تدهور مستوى هذه اللغة
إلى درجة تنذر بالخطر.. ومذيعو النشرات فى التلفزيون يتهجى
بعضهم الكلمات.

واللغة التى نتبادلها فى غفلة وخفة هى صنعة إلهية.. والله هو
الذى علمها بذاته لآدم.. فهو الذى علم آدم الأسماء كلها.
ومعلم العربية هو خليفة الله فى هذا الشرف الرفيع.. ومن
يحلم بمثل هذا الشرف؟!

وندى جرس الإنذار

الفهرس

الصفحة

٥	■ الساعة
١٥	■ ماذا وراء بوابة الموت
٢٥	■ الإنسان مخير .. أم مسير ؟
٣٧	■ نقطة من .. المحيط
٤٥	■ من أنت
٥٥	■ الصوفى والبحر
٦٣	■ لحظات النشوة
٧٣	■ المهمة الغامضة
٨٥	■ كلام في الحب
٩١	■ يوجسا
٩٩	■ آفاق المستقبل
١٠٧	■ مفاجأة كل يوم
١١٥	■ قاذفة القنابل
١٢١	■ الفجر القريب
١٢٩	■ نهاية الظلم
١٣٧	■ ماذا وراء العاصفة
١٤٧	■ إنذار بسوء الخاتمة
١٥٧	■ البنت السوبر

الترقيم الدولى

I.S.B.N

977 - 08 - 0802 - 4

رقم الإيداع

٩٩/٢٠٠٠



EGYPT AIR

أكثر من ٤٠٠ رحلة أسبوعياً
إلى ٩٤ مدينة عالمية ومحلية



هذا الكتاب

عشرات من الأسئلة الأزلية التي
ما زالت تلح على الأذهان دون إجابات
شافية .. مثل ما هو عذاب القبر ؟ ..
وهل الإنسان مخير أم مسير ؟ .. وما هي
حقيقة النفس الإنسانية ؟ .. وإذا كان
الله يعرف حقيقة النفس وما سوف
تفعله فلماذا يعذبها ؟ .. وهل يمكن
للمجتمع أن يغير من إنسان صالح إلى
إنسان مجرم ؟ .. وما هو الفرق بين
عذاب القبر والعذاب بعد البعث ؟ وما
هي صورة الحياة داخل الجنة والنار ؟ ..
أسئلة أزلية وعويصة .. استطاع
د. مصطفى محمود في هذا الكتاب
يجيب عليها إجابات حاسمة وقاطعة
وكلها من خلال ما جاء في القرآن
الكريم وحده .

نبيل أ

Bibliotheca Alexandrina



0393053



المنهج جنيهاً

To: www.al-mostafa.com